حوار ساخن مع الشيخ كشك قبل رحيله

الكاتب الصحفى
محمود فوزى

تقديم الكاتب الكبير
محمد عبد الله السمان





حوار ساخن

مع

الشيخ كشك

قبل رحيله



حوار ساخن مع الشيخ كشك قبل رحيله

الكاتب الصحفي
محمود فوزي

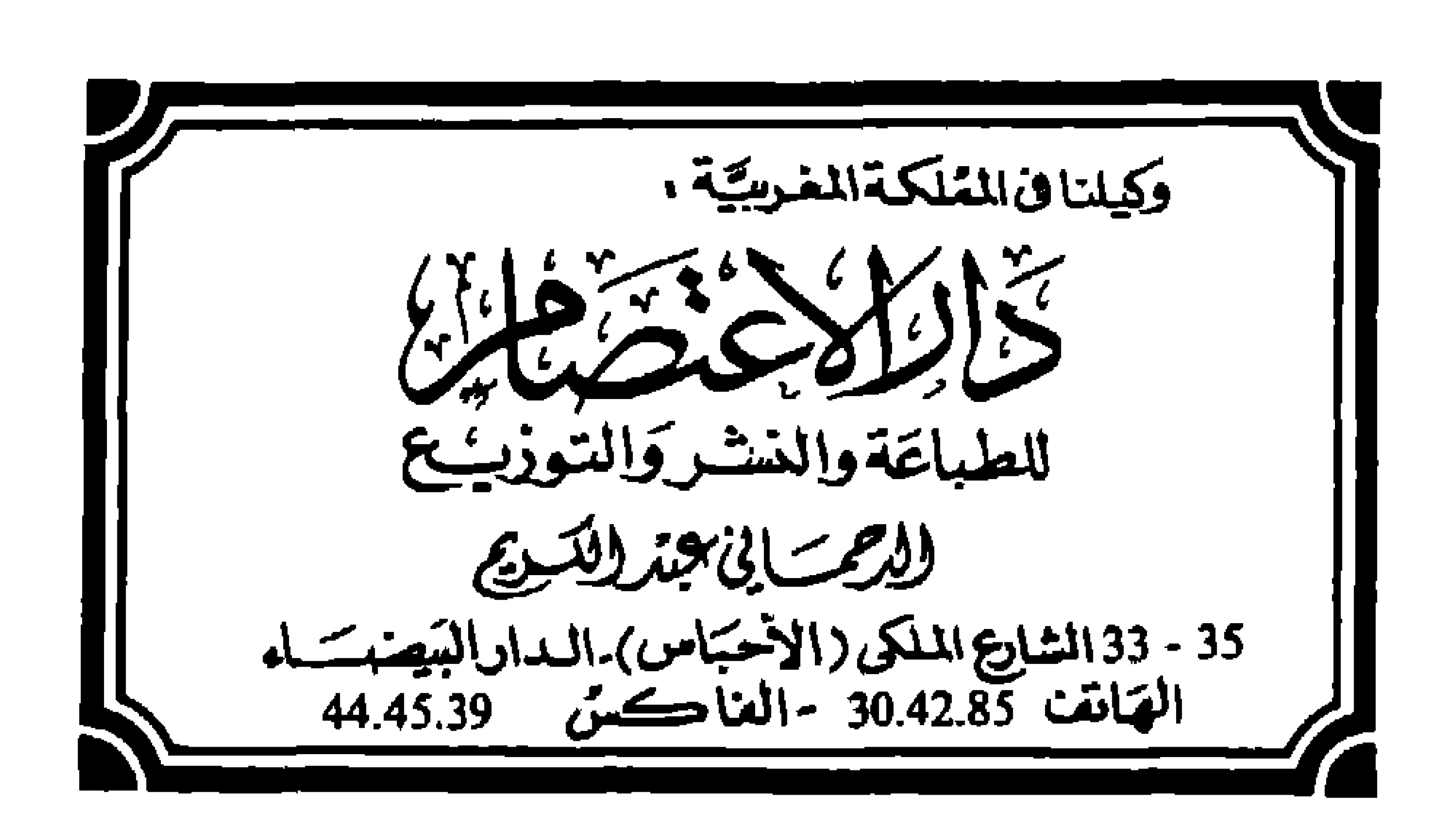
تقديم الكاتب الكبير
محمد عبد الله السمان

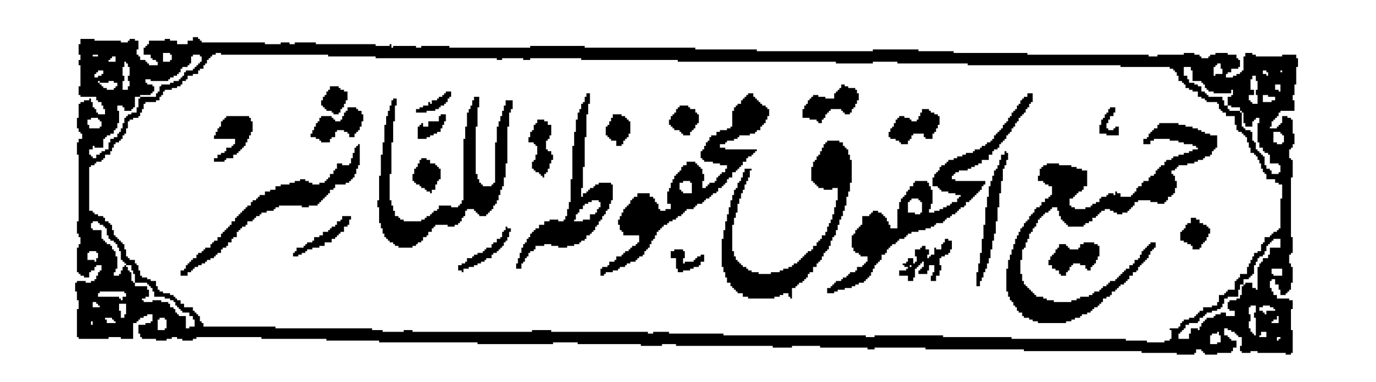
دار الفضيلة

دار الفضيلة

للنشر والتوزيع والتصدير

الإدارة: القاهرة - ٢٣ شارع محمد يوسف القاضي -
كلية البنات - مصر الجديدة - ت وفاكس: ٤١٨٩٦٦٥
المكتبة: ٧ شارع الجمهورية - عابدين - القاهرة - ت ٣٩٠٩٢٣١
الإمارات: دبي - ديرة - ص ب ١٥٧٦٥ ت ٦٩٤٩٦٨ فاكس ٦٢١٢٧٦





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ ﴾

سُورَةُ الأَحْزَابِ

تقديم

بقلم: محمد عبد الله السمان

● ورحل فارس المنبر ، وفارس الكلمة معاً .

لقد حَرَمُوه مِنبره الخشبيّ ، وعجزوا عن أن يَحرمُوه مِنبره المعنوىّ فى قلوب الجماهير التى انجَذبت إليه ، وأحبته إلى درجة القيام به ، هذه الجماهير التى كانت فى يوم الجمعة تزحَف منذ الصّباح الباكر إلى مسجده « عين الحياة » فى حدائق القُبّة بالقاهرة ، حتى يتيسر لها مكان قريباً من المسجد .

لم يكن الشيخ عبد الحميد كشك ساحرًا يجذب الناس بسحره ، وإنما كان ذا بيانٍ ، ولكن .. لم يكنْ بيانه سِرّ انجذاب الجماهير إليْه ، بل ما تحمله الألفاظ من معان ، وما تَحملهُ هذه المعانى من شجاعة فى الرأى ، بلا خوف من أحد ، أو تزلف إلى أحد ، أو مجاملة لأحد ، كان يَستهدف مع رضا الله – عز وجل – مُؤازرة الحقّ ، ومناهضة الباطل ، فى عصر كَئِيب ، أصْبَح فيه كثير من العلماء أعواناً للباطل ، يُحَرّفُون الكَلِمَ عن مَواضِعه اتّقاءَ لِسَيْف المعزّ ، أو ظفرًا بشىء من ذهبه .

● أجل : رحل فارس المنبر والكلمة :

وفى البدء كانت الكلمة ، والأنبياء والرسل – صلوات الله وسلامه عليهم – حَملوا إلى البشرية الكلمة قبل أن يحملوا السلاح على مناهضة الكلمة ، وكانت رسالة محمد – صلوات الله عليه وسلامه – المثل الأعلى فى اعتماد الكلمة ، والكلمة أول ركن من

أركان الإسلام الخمسة ، وكان أول لفظ قرآنى « اقرأ » إيحاء بأن الكلمة هى ركيزة الدعوة ، والمقصود بالكلمة – هنا – كلمة الحقّ التى تَـتَجاوب معها القلوب المؤمنة ، وتَرْتَجِفُ أمامها القلوب المستَغصية !

- أجل : رحل فارس المنبر والكلمة :

كان من فوق منبره الخشبى وبلا سيف خشبى يُرهب أعداء الإسلام ، ويُزعِجُ المنحرفين والمفسدين ، ويؤرق مضاجع الباطل ، لقد شمتوا يوم إقصَائِه عن منبره الخشبى ، وجهلوا أن المنبر لا يَـنْحصر فى الخشب ، لأنّ الخشب لا يَنطق ، وشَمتوا يوم وفاته ، وجهلوا أن الذى مات جسده ، ولم تَمُت رُوحه ، ولا كلماته ، وستظلان مصدر رعب للشامتين من ذوى النُـفوس الصّغيرة ، الذين توهموا أن إقصاء الشيخ عن منبره الخشبى ، أقصَى عنه قلوب الجماهير .

ولم أدهش وأنا فى « ماليزيا » حين شاهدت بنفسى لَفيفاً من النّاس حول مكبر صوت يذيع خطب الشيخ ، وبعد محنة الشيخ لم أزرْ بلدًا عربيًا أو غير عربى إلا سُئلت عن الشيخ وهو يعيش مِحْـنَـتَهُ ، وكنت أرفض رفضًا باتاً أن أحمل إليه جود الأجواد ، وسخاء الأسخياء ، لأنى على علم بزهد الشيخ وعفّته ، كنت أرى فيه الخليل ابن أحمد – شيخ النحاة – قال عنه تلميذه النّـضْر بن شُمَيْل : « أقام الخليل فى خُـصٍّ من أخصاص البصرة ، لا يقدر على فَلْسين ، وأصحابه يكسبون بعلمه الأموال ، وقد سمعته يوماً يقول : (إنى لأغلق علىّ بابى فما يجاوزنى همّى) ويردد :

وَالْفَقْرُ فِى النَّفْسِ لاَ فِى الْـمَالِ نَعْرِفُهُ
وَمِثْلُ ذَاكَ المغْنَى فِى النَّفْسِ لاَ الْـمَال

- أجل : رحل فارس المنبر والكلمة :

رحل والساحة فى أمسّ الحاجة إليه ، صحيح أن له تراثاً سوف

يَظَلّ خالدًا ، وأن له صوتاً سوف يظَلّ عاليًا مدوّياً فى آفاق الدنيا ، إلا أن الساحة بلسان الحال تقول : هل من مزيد ، بعد أن أصبحت المنابر تعتليها حناجر بلا فقه ، وكأنها فى مَعزلٍ عن واقع الحياة ، وأصبح الإسلام منهباً لكل من هَبَّ ودَبَّ ، يتطاول عليه الصغار ، متابعة ومشايعة لسادتهم وكبرائهم ، لا للإسلام ولكن للقوى الأجنبية المعادية للإسلام والمسلمين .

لذا أصبحت مِحْنة الإسلام فى أمسّ الحاجة إلى فرسان الكلمة التى هى أقطع من السيف .. إن كلمة حقّ يجهر بها فى مواجهة الباطل تعمل عملها .. كان شيخ الإسلام المعز بن عبد السلام يحمل الكلمة ولا يحمل سيفاً ، أو يملك جيشاً ، ورغم ذلك كان مصدر قلق للدولة فى عصره ، ولما لقى ربّه تنفّسَ سُلطان مصر يومئذ الصّعداء ، وهو « الظاهر بيبرس » وقال : « الآن استقر ملكى » يا سبحان الله !! عالم واحد يهدد مُلكاً ودولة ، بقوة إيمانه ، وثقته فى ربّه ، يلتمس بكلمته رضا الله ولو بسخط الناس .

- أجل : رحل فارس المنبر والكلمة :

رحل وترك الساحة خالية ، ولو قدر لشاعر النيل حافظ إبراهيم أن يرى ويسمع الشيخ كشك ، لقال فيه ما سبق أن قاله فى رثاء الإمام محمد عبده :

مَـدَدْنَا إلـى الأَعْـلامِ بَعْـدَكَ رَاحَـنَا
فَـرُدَّتْ إلـى أعْـطَـافِـنَـا صَـفِـراتِ

رحل الشيخ كشك وترك فراغاً لن يُشْغل .. رحل الشيخ والإسلام الممتحن فى حاجة إلى صوته ، والأمة المسلمة المهيضة الجناح فى حاجة إلى صوته .. والحقّ المضطهد فى حاجة إلى صوته ، وَلَمْ يبقَ للفساد المستشرى من يردعه ، ولا للانحلال السلوكى من يقمعه ، ولا لهذه السلبية المطلقة فى الشعوب المسلمة من يصرخ فيها ، ينتشلها من وهدة المذلة والخضوع والهوان .

رحم الله الشيخ الجليل .

منذ زهاء عشرين عاماً ، طلب مني ضيف عربى وصديق أن أصحبه يوم الجمعة إلى المسجد ليسمع الشيخ ويراه ، قلت : السماع ممكن ، ولكن الرؤية غير ممكنة لزحام الجماهير حوله ، وهال الضيف الصديق أمران :

الأمر الأول : جرأة الشيخ وشجاعته ، قال : مثل هذا الشيخ لن يبقى طويلًا معتلياً منبره ، فتذكرت على الفور ما قاله الكاتب الأمريكى الذى التقى بالإمام الشهيد حسن البنا « الرجل القرآنى » : التقيت بالرجل ساعات ، الخطيب الذى يمكنه أن يتكلم سبع ساعات دون أن يتلعثم أو يَمَلّهُ سامعوه .

وأضاف الكاتب الأمريكى :

وبعد أن أصغيت إلى آرائه قلت : هذا الرجل يجب أن يموت ، فإن ما يحمله من آراء تفزع الأنظمة العربية .. ولن تحتمل الرجل طويلًا .. وعدت إلى بلادى ، وما إن سمعت نبأ مصرعه حتى همست إلى نفسى : « صَدَقَتْ نُبوءتى » .

الأمر الثانى : هال الضيف كثرة مُحِبّى الشيخ ، والشيخ ليس من أصحاب السلطة والجاه ، وتذكرت على الفور ما حدث أيام الرشيد ، وما قصه التاريخ علينا ، قيل : لما قدم الخليفة هارون الرشيد « الرّقّة » انجفل الناس - سارعوا - خلف عبد الله بن المبارك ، وتقطّعتِ النّعال ، وارتفعت الغَبَرة ، فأشرفت أم ولد أمير المؤمنين من برج الخشب فلما رأت الناس يتزاحمون حول الإمام ابن المبارك قالت : « ما هذا ؟ » قالوا : عالم أهل خراسان يقال له : عبد الله بن المبارك ، فقالت : هذا - والله - المُلك .. لا مُلْكَ هارون الرّشيد الذى لا يجمع النّاس إلا بشُرطَةٍ وأعوان ..

• ثُمَّ ماذا ؟

لم أذهش ولم أحزن لأن بعض الإذاعات الأجنبية – وفى مقدمتها إذاعة «لندن» لم تَتَجاهَلْ رَحيل فارس المنبر والكلمة بينما تجاهلَته إذَاعاتُنا .

قال صديقى : هوّن على نفسك ، والتمس عُذْرًا لوسائل إعلامنا ، فقد كان من سوء الحظّ أن يُصادف وفاة الفارس وفاة الممثل كرم مطاوع ، فشغلها هذا عن ذاك .

قلت : بل كان من حسن الحظّ ما حدث ، فلم يكن يشرف الفارس اهتمام وسائل إعلامنا بوفاته ، لأنّها لا تتجاهل إلا كِبَار النّفس والمقام معاً ، الذين تلتفُّ القُلوب حولهم ، لا تزلفاً ورياء ، بل حبًّا ووفاء !

وبعـــد :

فإنى أحيّى ابننا الأستاذ طه عاشور صاحب دار الفضيلة ، الذى كان له السبق فى الوفاء للشيخ الجليل عبد الحميد كشك ، دونما أدنى حساسية لتاريخ الشيخ المعروف ، كما أحيى صاحب دار الفضيلة لأنه أحسن الاختيـار ، أعنى مؤلف الكتاب ، الكاتب الصحفى المشـهور الأستاذ محمود فوزى ، الذى عَرَفْناه كاتباً موضوعيًّا متميزاً ، معروفاً بمحاوراته الشهيرة .

ورحم الله شيخنا الجليل فقيد الأمة المسلمة ، الذى رحل عنها وهى فى أمسّ الحاجة إليه ..

محمد عبد الله السمان

القاهرة ص. ب : ١٦٢١

تليفـون : ٥٦٨٣٥٦٤

مقدمة المؤلف

لا أعرف لماذا انتابنى إحساس وشعور غريب بأن هذا هو آخر لقاء لى مع الشيخ كشك ، وقد حرص الشيخ الجليل يومها على أن يحمل صينية القهوة بنفسه على الرغم من أنه ضرير ، والأغرب أنه لم تسقط نقطة واحدة من الفنجان ، فلم تهتز الصينية فى يده ، وداعبته وداعبنى ضاحكاً ، ثم اكتشفت أن هذا ليس غريباً على الشيخ كشك الذى لم تهتز نفسه رغم كل المصاعب والمحن التى واجهها فى حياته .. وما أكثرها .. وما أغربها !

ولقد روى لى الشيخ – رحمه الله – حقيقة فقدانه لبصره ، وكيف أن الطبيب الذى تجرد من كل إنسانية أنزله من على سرير العمليات قبل إجراء العملية ، لأنه لم يسدد مقدماً أتعاب الطبيب ، فوالده التاجر البسيط لم يستطع أن يدفعها ! .. مأساة !! لكنها زادته إصراراً على التعلم والتفوق .. فقد كان ترتيبه الأول دائماً فى كل سنوات الدراسة ، حتى تخرج فى كلية أصول الدين ، ثم حصوله على شهادة التخصص « العالمية » من كلية اللغة العربية .

لقد بدأ الشيخ كشك مسيرته فى خدمة الدعوة الإسلامية بمسجد الطيبى بالسيدة زينب ، وقد تسلم جائزة « المعلم » من جمال عبد الناصر فى عيد العلم عام ١٩٦١م ، ثم صدر قرار وزارى بتعيين الشيخ كشك إماماً وخطيبًا بمسجد عين الحياة .. ثم بدأ سلسلة المتاعب والتحقيقات والاعتقالات والسجن .

ولم يسمح للشيخ كشك أن يعتلى المنبر بعد خروجه من سجن السادات فى أحداث شهر سبتمبر الشهيرة .

وحين سألت الشيخ كشك : ألم تحن للعودة إلى المنبر ، وإلى خطبك الصاروخية ؟! قال : لو قدر لى أن أعود إلى المنبر ثانية فسوف أُعلّمُ الناس أمور دينهم ، فما أحوج الناس الآن إلى العلم والفقه فى أمور دينهم !!

وقد قال لى الشيخ كشك : إن البعض عرض عليه أن يرشح نفسه لانتخابات مجلس الشعب ، ولكنه رفض بشدة ؛ لأن مكانه ليس هو أروقة مجلس الشعب السياسية ، لكن خطب المنابر الدينية .

ومن المعروف أن الشيخ كشك كان خطيباً مفوهاً ولاذعاً أيضاً ، وله أنصار ومريدون كانوا يعشقون الاستماع إلى خطبه النارية .

وإذا كان « لكل شيخ طريقة » كما يقولون ، وقد يختلف البعض مع طريقة الشيخ كشك فى أدائه لخطبه اللاذعة والساخرة ، ولكن لا يختلف أحد على أن الشيخ كشك كان حسن النوايا ، ولم يكن يبغى إلا وجه الله ورضوانه فيما يقول ويفعل .

ورغم علمه الغزير إلا أنه كان يتمتع حقيقة بتواضع العلماء .

وكان الشيخ كشك يتمتع بخفة ظل ربما تفوق فى رأيى خفة دم أظرف ظرفاء هذا العصر ، ورغم ذلك كنت أحس أن هناك حزناً دفيناً فى أعماقه !

ولقد كانت للشيخ كشك شفافية كبيرة ، وقد تجلت حقيقة قبيل رحيله ، فقد قال لابنته الصغرى :

« لن أحضر معكم رمضان هذا العام » !

ولقد عاش الشيخ كشك زاهداً ، ومات عابداً .. فعندما وافته

المنية كان ساجداً لله ، فلما طالت السجدة أراد ابنه أن يطمئن عليه ، ولكن روحه كانت قد صعدت إلى بارئها واختاره الله إلى جواره .

رحم الله الشيخ كشك رحمة واسعة ، وأنزله فسيح جناته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

وبعد .. فهذه حوارات أجريتها معه قبيل رحيله ، فكانت آخر كلمات الشيخ الجليل والجرىء !

محمود فوزى

* * *

الشيخ كشك فى سطور [1]

● ولد الشيخ عبد الحميد كشك فى العاشر من مارس ١٩٣٣م فى بلدة شبراخيت ، إحدى مراكز محافظة البحيرة بجمهورية مصر العربية .

● كان ترتيبه الثالث بين ستة من الإخوة ، وكان سليماً معافى من الأمراض .

● وعندما بلغ السادسة من عمره ، أصيبت عيناه برمدٍ صديدى ، فحملته أمه إلى « الحلاق » فأخذ يعبث فى عينيه حتى أضاع عينه اليسرى .

● كان والده تاجرًا فى محل صغير ، وألحق ولده بجمعية تحفيظ القرآن الكريم ؛ ليعوضه عن نور البصر بنور من كتاب الله ، وما إن انتهى من حفظ كتاب الله حتى ألحقه بمعهد الإسكندرية الدينى .

● خلال هذه الفترة أُجريت له عملية جراحية فى عينيه ، ولم تكن موفقة ، وشاء الله أن يكف بصره .

● توالت الأحداث بعد ذلك متمثلة فى انقطاعه عن الدراسة لمدة عامين كاملين ، ومرض والده ورحيله ، وضيق ذات اليد .

● كان يتمنى من الله أن يمنَّ عليه بالنجاح بنسبة مائة بالمائة ، فقد علمنا الرسول ﷺ أن نسأل الله الفردوس الأعلى .

---

(١) قصة أيامى .. مذكرات الشيخ كشك ط. المختار الإسلامى ، بالإضافة إلى عدة صحف ومجلات مصرية وعربية .

• استطاع بتوفيق من الله أن يلتحق بمعهد القاهرة الدينى ، وحصل على الشهادة الثانوية الأزهرية ، وكان ترتيبه الأول على طلبة الشهادات الثانوية بنسبة ٩٩٪ .

• التحق بكلية أصول الدين ، وتخرج فيها ، ورُشِّح للعمل بالأوقاف وبالتحديد فى مسجد « الطيبى » بالقرب من حى زين العابدين .

• خلال عمله بمسجد « الطيبى » حصل على العالمية مع تخصص التدريس ، وهى شهادة تتيح لحاملها أن يعمل مدرساً بالأزهر .

• كان ينتدب لإلقاء خطبة الجمعة والدروس الدينية فى عدد من المساجد ، من بينها « مسجد صلاح الدين » بالمنيل ، ومسجد « الحبيبى » بحى السيدة ، ومسجد السيدة زينب .

• كان – رحمه الله – يرى أن خطبة الجمعة تؤدى رسالتها المنشودة إذا كانت موجِّهة (بكسر الجيم) ولكنها تصاب بالعرج والعقم إذا كانت موجَّهة (بفتح الجيم) فالخطبة الناجحة هى التى تنبع من مناهل الإسلام العذبة .

• انتقل بعد ذلك – بناءً على رغبته – إلى « جامع الملك المسمى أيضاً « عين الحياة » بشارع مصر والسودان بحى حدائق القبة ، وذلك لقربه من منزله ، ولأنه من العلماء المجاهدين فى الله حق جهاده ، ولأن الساكت عن الحق شيطان أخرس ، فقد كان يصول ويجول كالأسد الهصور محارباً للفساد أينما وجد ، لا يخشى فى الله لومة لائم .. فغضب عليه الحاكم « جمال عبد الناصر » ورجاله ، وزج به فى سجون (القلعة) و (طرة) و (أبى زعبل) وكان ذلك فى الستينيات والسبعينيات وأوائل الثمانينيات .

• حياته الأولى كانت مليئة بالنجاح والتفوق رغم المعاناة ، وفقد البصر مبكرًا ، فقد كان ترتيبه الأول فى كل المراحل التعليمية حتى تخرج فى كلية أصول الدين .

• حصل على جائزة فى عيد العلم سنة ١٩٦٢ م وعمره وقتها ٢٨ سنة .

• أنعم الله عليه بنعمة الزواج فى شتاء عام ١٩٦٥ م .

• بعد تكريم جمال عبد الناصر له ، اعتقله فى أبريل عام ١٩٦٦م وأفرج عنه فى مارس ١٩٦٨م ، واعتقل ثانية فى عهد السادات فى سبتمبر ١٩٨١م .

• منذ أُفرج عنه فى ١٩٨٢/١/٢٧ ومعه كل الذين تم القبض عليهم فى ٥/٩/ ١٩٨١م خرج الشيخ كشك من السجن إلى البيت ، ولم يعتقل بعد ذلك إلى أن مات - رحمه الله - .

• كان يرى أن أخطر أمراض المجتمع النفاق، إذا ابتليت به أُمَّة أضحى الذلُّ رائدَها ، والهزيمةُ عاقبتَها ، وأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون .

• خلال هذه الفترة تمكن من إنجاز الكثير من المؤلفات منها على سبيل المثال لا الحصر : « فى رحاب التفسير » وأكمل به تفسير القرآن الكريم ، « الخطب المنبرية » ، « دور المسجد فى المجتمع » ، « فى رحاب السنة » ، « الوصايا العشر فى القرآن الكريم » ، « طريق النجاة » ، « البطولة فى ظل العقيدة » « صرخات من فوق المنبر » ، « رياض الجنة » « نفحات من الدراسات الإسلامية » ، « بناء النفوس » ، « اليوم الحق » ، « صور من عظمة الإسلام » ، « إرشاد العباد » ، « أضواء من الشريعة الغراء » ، « الإسلام وأصول التربية » ، « من جوار الخلق إلى رحاب الحق » ، « الصلح مع اللّه » ، « كلمتنا فى الرد على أولاد حارتنا » « فضل القرآن يوم الحشر » ، « مصارع الظالمين » ... إلخ .

بالإضافة إلى المئات من أشرطة التسجيل ، وقد تجاوزت مؤلفاته المائة .

• كان – رحمه الله – يعيش هموم وطنه ، ومشاكل مجتمعه ، حيث كان يقوم فى خطبه بتحليل الواقع السياسى والاقتصادى والاجتماعى الذى تعيشه الأمة ، ويدعو إلى التكامل الاقتصادى بين البلدان الإسلامية والعربية ، وإلى استثمار أموال العرب فى بلاد الإسلام ، بدلاً من الاتجاه بها إلى الغرب، وتُتْـخَـمُ بها بنوك اليهود .

• خلص – رحمه الله – من هذه التجارب إلى أن الدنيا ما هى إلا مزرعة للآخرة ، فعلى العاقل أن يغتنم خمساً قبل خمس : شبابه قبل هرمه ، وصحته قبل سقمه ، وغناه قبل فقره ، وفراغه قبل شغله ، وحياته قبل موته .. فاليوم عمل ولا حساب ، وغدًا حساب ولا عمل .

غدًا تُوفَّى النفوسُ ما كسبت ويحصد الزارعون ما زرعوا
إن أحسنوا أحسنوا لأنفسهم وإن أساءوا فبئس ما صنعوا

• كان – رحمه اللّه – يركز دائماً على أن السعادة فى تلك المملكة التى أقامها الرسول الكريم ﷺ فى قوله : « ارض بما قسم اللّه لك تكن أغنى الناس » .

• فى يوم « الجمعة » ٢٥ رجب (شهر اللّه الحرام) ١٤١٧هـ صعدت روح الشيخ كشك إلى بارئها وهو فى موضع أقرب ما يكون إلى الله .. وهو ساجد.. رحمه اللّه ، وأنزله منازل الصديقين ، وعوض الأمة بفقده خيرًا .

* * *

•• هل لنا أن نعرف « سيناريو » يوم كامل فى حياة الشيخ كشك ؟

• أحافظ – بإذن الله – دائماً على قيام الليل قبل الفجر بساعة ، ثم أصلى الفجر ، ثم إن علىَّ ورداً من الذكر والقرآن أقرأ فيه ثلاثة أجزاء ، ثم بعد ذلك أستمع إلى نشرات الأخبار ، وبعد الاستماع إلى نشرات الأخبار أصلى الضحى بعد ارتفاع الشمس فى حدود نصف الساعة ، وهى إما ركعتين أو ثمانٍ ، ثم أتوجه بالقراءة فى بعض الكتب .

ثم بعد ذلك أنام قليلاً بعد الظهر لكى أستريح ، ثم أستيقظ لأصلى العصر ، وبعد أن أصلى العشاء أجلس لأقرأ فى الكتب وفى العلم ، بحيث لا يمضى علىَّ يوم إلا وأكون قد قرأت فيه ما قرأت ، فما طلعت علىّ شمس يوم لم أستفد فيه علماً جديداً .

* * *

•• وما هى عادتكم فى قراءة الكتب ؟

• فى الواقع أننى لا أقرأ فى كتاب واحد ، وإنما أجمع بين ثلاثة كتب على الأقل ، لأن الاستمرار فى كتاب واحد قد يكون مملًا بعض الشيء !

* * *

•• وماذا تقرأ فى هذه الأيام ؟

• فى هذه الأيام أقرأ كتاب سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد سيدنا محمد ﷺ وأقرأ غيره من الكتب القديمة .. ككتاب التمهيد لابن عبد البر .

* * *

•• وماذا يطالع فضيلة الشيخ كشك من الكتب الحديثة ؟

• أقرأ من الكتب الحديثة بعض الكتب التى تتحدث عن الأوضاع السياسية على مستوى العالم .

* * *

•• وما البرامج التى تعجبك وتجلس أمام التليفزيون لمتابعتها ؟

• أولاً : أنا لا أجلس أمام التليفزيون إلا للضرورة السياسية كخطاب سياسى ، أما غير ذلك فإن الله - تبارك وتعالى - أكرمنى بفقد البصر حتى لا أرى ما يغضبه .

رأيت العمى أجراً وزخراً وعصمة   وإنى إلى تلك الثلاث فقير
يُعيرّنى الأعداء والعيب فيهم   وليس بعيب أن يقال ضرير
إذا أبصر المرء المروءة والوفا   فإن عمى العينين ليس يضير

* * *

•• فضيلة الشيخ .. فى مصر مسموح بدخول (الدش) فى أى بيت ولكن بعض الدول الإسلامية الأخرى منعت دخول بعض المحطات التى تثير الجنس ، أو المحطات الغربية .. فما رأى فضيلتكم ؟ وأيها أسلم .. أن ندخل الفكر الغربى بدعوى الحرية ، أم نقف أمام هذا الغزو المرئى الذى يجتاح العالم ؟

• مما لا شك فيه أن « الدش » والفيديو والتليفزيون وغيرها من وسائل الإعلام ما هى إلا آلات صماء لا تسمع ولا تعى ، إنما المسئول عنها من يستعملها .. سواء كان ذلك إرسالاً أم استقبالاً .. وأنا أرى لكى نبنى الأخلاق ، ولكى نكون صادقين يجب أن نعمل دائماً على

عوامل البناء لا على معاول الهدم .. ولا أنسى هذا الحادث الأليم الذى تكلمت عنه بعض الصحف أن أحد الرجال دخل فوجد ابنه مع أخته يشاهدان الفيديو فى مسألة جنسية ، وقد أدى ذلك إلى ما لا يرضى الله ، ويستحيى الإنسان أن يذكره ، فما كان من الأب إلا أن صعد إلى الدور السابع من العمارة وألقى بنفسه فمات .

إننا أمة إسلامية يقول رسولها الكريم : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .. يجب أن نملأ هذا الفراغ بما يؤدى إلى سعادة المجتمع وبناء الفرد بحيث نخرج بأمة شرفها الله فى قوله : ﴿ **كُنتُمْ خَيرَ أُمَّةٍ أُخْرِجتْ لِلنَّاس** ﴾ ، فهناك غزو ثقافى لا نستطيع أن ننكر هذا .. والغزو منتشر ، لكن يجب أن يعامل بمثله ، فكل فعل له رد فعل مساوٍ له فى المقدار ومضاد له فى الاتجاه ، فيجب أن تملأ مثل هذه القنوات بما يؤدى إلى البناء لا بما يؤدى إلى الهدم .

* * *

●● ما رأى فضيلتكم فى محاولة اغتيال نجيب محفوظ ؟! وكيف استقبلت هذا النبأ ؟

● والله كنت أسمع النشرة فى الراديو – الذى تربينا عليه منذ القدم – فى آخر الأنباء الساعة الواحدة والنصف فى موجز الأنباء الأخير فوجئت بهذا الخبر .. وعندما سمعت هذا الخبر قلت : يا رب سلم .. يا رب سلم .. لأنه قد يؤدى إلى فتنة ، والفتنة نائمة .

فأنا لا أحب العدوان .. والرجل إذا قال كلمة يرد عليها بكلمة وإلا ما قال تعالى : ﴿ **بالْحِكْمة وَالمَوعِظة الْحَسنَة** ﴾ وقد كان هذا كله شعارى فى كتاب « كلمتنا فى الرد على أولاد حارتنا » أسلوب هادئ

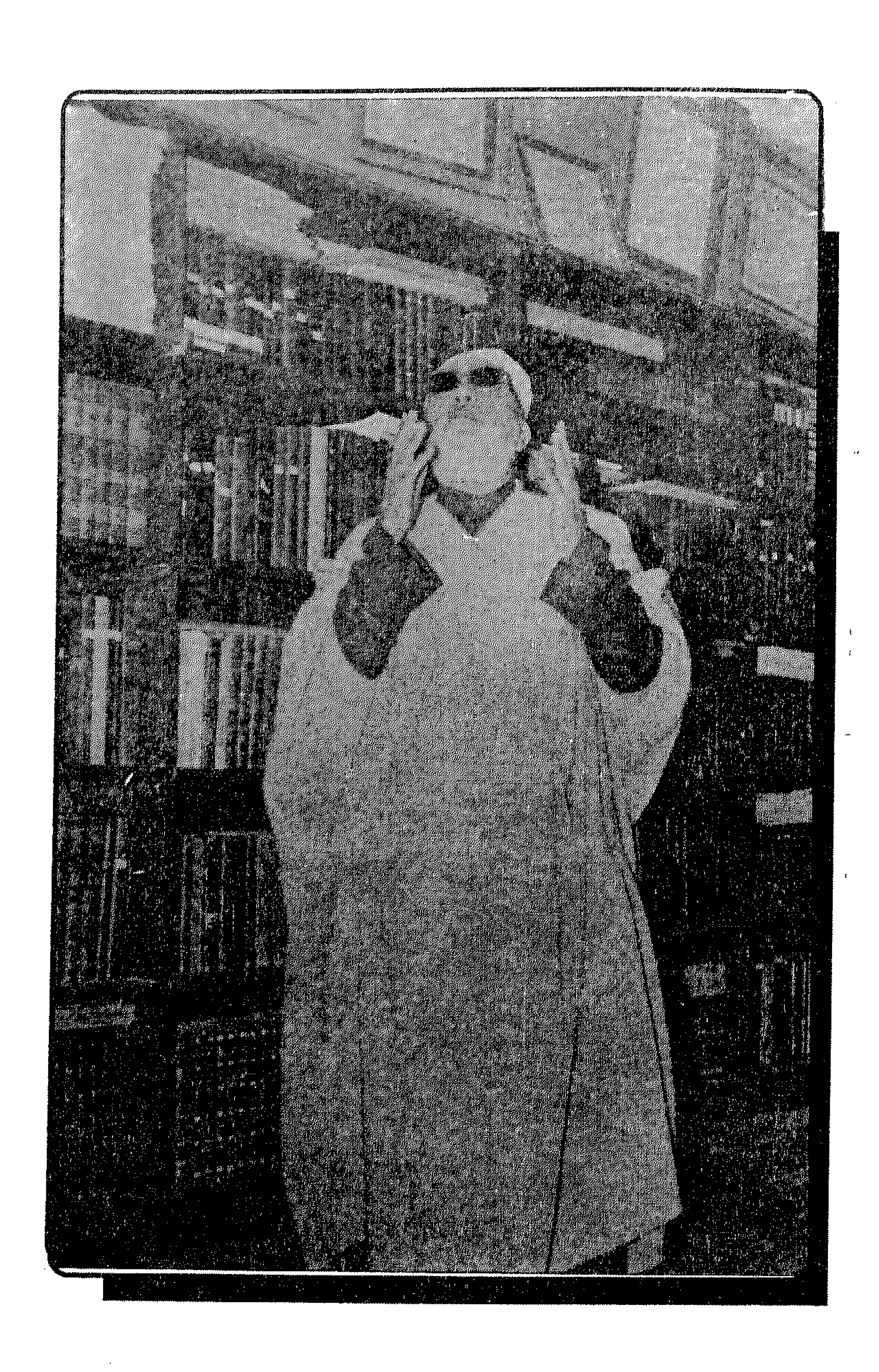
ومؤدب ومهذب ، ولكنه مقنع ، بحيث من قرأه يقتنع بما فيه ، أما أن يقال : إننى أبحت دمه .. من أنا حتى أحل دم مسلم ؟!

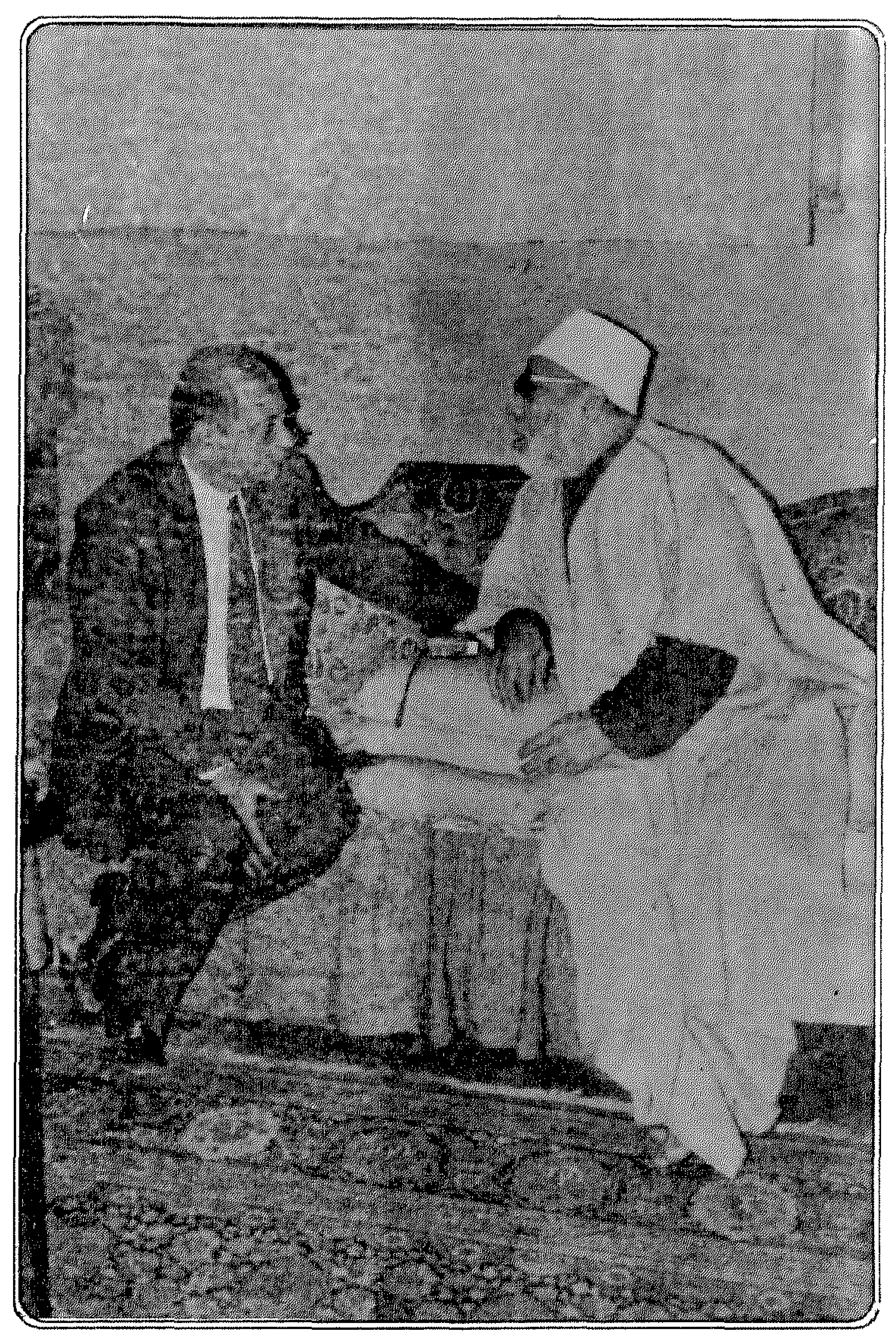
إن الرسول ﷺ يقول : « من أعان على قتل مسلم ولو بنصف كلمة أو بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيس من رحمة الله » .

* * *

•• وما رأى فضيلتكم فى ظواهر القَتْل والتَّفْجِير التى انتشرت فى هذه الأيام؟ وكيف يتلقى جهازك العصبى كل صباح الأخبار عن القتلى من الأبرياء ، وكذلك مصرع العديد من رجال الشرطة ؟

• هؤلاء إخوتنا وأولئك إخوتنا .. وهؤلاء أبناؤنا وأولئك أبناؤنا .. ولقد كنت قد اقترحت فيما مضى أن نقوم بعمل حوار بين هؤلاء وأولئك .. وظللت أقول : إننى مستعد أن أبذل وقتى وجهدى فى سبيل هذا الحوار؛ لأن مصر ما هى إلا معيار سليم وميزان دقيق للإسلام ، فإذا ما قضى عليها بوسيلة أو بأخرى وجد الأعداء فى ذلك معبرًا يعبرون عليه إلى القضاء على الإسلام .. فقد خسرنا الدنيا والآخرة .. فمصر كما كانت دائماً ترمومتر الإسلام ، ثم إن أبناءنا لا يليق بهم أن يقتل بعضهم بعضاً ، إنما تعالوا إلى كلمة سواء ، والعقل بيننا فى نور القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .. أما الدماء فإنها تفزعنى كثيراً .. وكم قضت على أُناس ، وكم دمرت من امبراطوريات .. واسألوا التاريخ عن تاريخ المسلمين فيما مضى .. إن الذين قتلوا فى الحروب الأهلية أكثر بكثير جداً من الذين قتلوا فى الفتوحات الإسلامية . ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ .





•• فضيلة الشيخ .. جرت محاولات من وزارة الداخلية المصرية فى الآونة الأخيرة لاستقطاب بعض من هؤلاء الشباب المعتقلين بتهمة التطرف والحوار معهم .. فما رأيك فى هذه التجربة ؟

• والله تجربة ناجحة ، ولقد جُرِّبتْ فيما مضى ونجحت ، فلماذا لا نكررها ثم نكررها .. لا سيما أن شبابنا .. نحن مأمورون بالحفاظ عليهم ، فالشباب فيه الكثير من الأبرياء ، وإذا وجد الطريق المستقيم ، فإنه لن يتأخر ، وسيكون منتجاً ثم منتجاً بإذن الله .

لقد شهدنا سنة ١٩٦٥ م شباباً فى السجون فيه طاقات غريبة لدرجة أن أحد حراس السجن الحربى صاح : هل فيكم سمكرى ليصلح حنفية السجن ؟! إن كان هناك سمكرى فليخرج .. فلم يخرج أحد : أفيكم سباك ؟! فلم يخرج أحد ، أفيكم مهندس ؟! فخرج ألف مهندس ! ومهندسون متخصصون فى الطاقة الذرية .. فهذا جهد نسأل الله ألا يضيع سدى ، فالشباب فى أمسّ الحاجة إلى أن يعرف دينه .. فلنعمل على التوعية شرط أن يكون الذين يقومون بالتوعية رجالًا مشهوداً لهم بالحيدة أولًا ، وبالإخلاص وبالقدوة الحسنة ، وبالعلم الغزير وبالشجاعة فى الحق ثانياً .

* * *

•• فضيلة الشيخ .. هناك موضوع ظهر مؤخراً على الساحة من خلال مؤتمر السكان الذى عقد بالقاهرة فى سبتمبر الماضى يتعلق بختان البنات ، بين مؤيد ومعارض .. فما رأى شيخنا الجليل ؟!

• ختان البنات عندما حدد موقفه رسول الله ﷺ قال لخاتنة البنات – واسمها أم عطية – : « اخفضى ولا تنهكى » فالإسلام دين الوسط فى كل شىء ؛ لأنه فضيلة ، والفضيلة وسط بين رذيلتين ،

فختان البنات سنة ، ويجب أن يكون الختان كما أوصى بذلك رسول الله .. لا هو استئصال ، ولا هو ترك ، وعندما يجعله النبى ﷺ سنة ، فليس كلام النبى خالياً من الحكمة .

فالمرأة لو تركت دون ختان ، قد يعرضها ذلك لبعض الأشياء التى لا ترضى ، وإذا استؤصل أدى ذلك إلى برود شهوتها .. فلا هذا ولا ذاك ، إنما هو الوسط .

* * *

•• فضيلة الشيخ .. قضية الحجاب والنقاب .. فالحجاب أمره معروف ، ولكن بالنسبة للنقاب .. فهناك جدل كثير حوله فى الآونة الأخيرة .. فما رأى فضيلتكم فى هذا ؟

• والله .. الكلمة الحق التى أعتقدها هى أن النقاب قد يجب ، وقد يكون سنة ، فهو يجب خشية الفتنة ، فالفتنة نائمة لعن الله من أيقظها ، أما إذا أمنت الفتنة ، فإن النقاب يأخذ حكم السنة .

* * *

•• ألا تذكر فضيلتكم أول جمعة خطبتها فى هذا المسجد المبارك « مسجد المنوفى » ؟

• نعم ، مازلت أذكر أول جمعة خطبتها فى هذا المسجد المبارك ، وكانت فى موسم الحج ، وأذكر أننى بدأت هذه الخطبة بما ورد أن أعرابيًا سأل رسول الله ﷺ : يا رسول الله أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه ؟ وإذا بسفير الأنبياء ، وكبير أمناء وحى السماء يجوب الآفاق ، ويطوى بأجنحته السبع بقوله جل شأنه : ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى**

فإنّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ .

ثم أخذت فى تفسير هذه الآية ، وبينت ما فيها من أسرار بلاغية ، وقضايا تتعلق بالعقيدة .

* * *

•• وما المساجد التى ترددت عليها فى حياتك لإلقاء خطبة الجمعة ؟ وما ذكرياتك فيها ؟!

• فى أثناء عملى بمسجد « الطيبى » كنت أنتدب لإلقاء خطبة الجمعة ودروس المساء فى عدد من المساجد ، ومن هذه المساجد مسجد صلاح الدين بالمنيل ، ومسجد « الحبيبى » بحى السيدة ، ومسجد السيدة زينب ، حيث كنت أقوم بإلقاء دروس بعد صلاة التراويح فى رمضان ، وفى الانتقال خير ، حيث إن معرفة الناس كنز ، والاتصال بهم قوة ، والوقوف على مشاكلهم ، وإبداء الحلول لها سعادة ، وإن كان الحنين دائماً يشدنى إلى مسجد « الطيبى » ، حيث لا أنسى هذه الأوقات الطيبة التى كنت أقضيها مع إخوة فقراء تتخلل مجالسهم أذكار وصلوات على النبى المختار ، لا يتحدثون بلغة البنوك ، أو تشييد القصور ، أو أنواع السيارات الفارهة ، إنهم الذين قال الله تعالى فيهم لرسوله الكريم ﷺ : **﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً﴾** .

لقد كان الصادق المعصوم يبسط لهم رداءه ويجلسهم عليه ويقول لهم : « مرحباً بمن أوصانى ربى بهم خيراً » .

• • لعل من أشهر المساجد التى عملت فيها فى مجال الدعوة « مسجد الملك » بحدائق القبة .. ما ذكرياتك .. وما مواقفك فيه ؟

• فى اليوم الخامس من شهر مايو ١٩٦٤م بدأت العمل خطيباً ومدرساً وإماماً فى هذا المسجد ، ويقع هذا المسجد فى منطقة حدائق القبة فى شارع مصر والسودان ، وفى حى دير الملاك تحيط به مجموعات كثيرة من النصارى ، والمسجد فى بنائه فخم ضخم ، فرشت أرضه بسجاد فاخر ، ونقش سقفه نقشاً بديعاً ، وجهاز الصوت فيه قوى ، وأجهزة التهوية والنوافذ تنعش النفوس ، وذكرنى هذا بحال المساجد فى فجر الإسلام ، وحالها فى أيامنا هذه .. ففى فجر الإسلام كانت المساجد فى غاية البساطة والتواضع ، ومسجد الصادق المعصوم خير شاهد على هذا ، فقد كان سقفه الجريد ، وكانت أرضه الحصباء ، ولكنه خرّج العمالقة ، فقد تخرج فيه المصلح العظيم « كأبى بكر » ، والزعيم الملهم كعمر ، والخيّر الكريم كعثمان ، والعبقرى الفذ كعلى ، والقائد الجبار كخالد ، والمفتى الخبير كابن عباس ، والمحدث الجليل كأبى هريرة ، وأستاذ الزهد كأبى ذر ، والفيلسوف البارع كسلمان الفارسى .. فاسألوا التاريخ فى أى الجامعات تخرج هؤلاء ؟! لم يتخرجوا فى جامعات الشرق أو الغرب ، إنما تخرجوا فى جامعة عميدها المصطفى ﷺ ، وعلى امتداد العصور والدهور خرّجت المساجد عباقرة البشر وأساطين الفكر ، وجهابذة العلوم ، وأساتذة الأخلاق والحضارة والثقافة .. فابن سينا والفارابى ، وابن البيطار ، والحسن بن الهيثم ، وجابر بن حيان ، والخوارزمى ، وثابت بن قرة ، والجاحظ ، والبنانى ، هؤلاء جميعاً نجوم لمعت وسطعت فى سماء الدنيا فى الكيمياء والفيزياء والأحياء والطب والرياضة والفلسفة والفلك ، ونقل الغرب عنها وأقام حضارته على ما أبدعت وأنجزت .

ونظرت إلى حال المساجد فى عصرنا هذا ، وكيف صارت عملاقة شامخة البناء ، ولكن بناء القلوب والنفوس يمثل النزر اليسير ، فماذا حدث ؟! لقد حذر الرسول ﷺ من زخرفة المساجد حتى لا يكون ذلك على حساب الجوهر الأصيل ، فقال : « إذا زخرفتم مساجدكم ، وحليتم مصاحفكم فالدمار عليكم » ، ذلك لأن كثيراً من الناس قد شغله الظاهر فينصرف إليه ، وتشغله القشرة عن اللب ، فيغفل عن رسالة المساجد التى قال الله تعالى فيها : **﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ * رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وإِقَامِ الصَّلاةِ وإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ والأَبْصَارُ﴾** .

وكان الجمع الذى يصلى فى جامع « الملك » غير كثير ، ولقد كنت أتردد على هذا المسجد وأنا طالب بالأزهر قبل أن أعمل بالمساجد الأهلية ، وكان الحاضرون فى صلاة الجمعة يقفون فى صفوف متباعدة ، بحيث يكون بين الصفين مكان يتسع لصفين آخرين ، وكانت التوعية التى تؤم هذا المسجد من الطبقة المثقفة ، وفيه من السجاد والنظافة ما يغرى هؤلاء بالذهاب إليه ، وكان بالمسجد حديقة غنّاء ملحقة به ، وقد اعتمدت على الله تبارك وتعالى ودعوت إليه على بصيرة ، وأقبل الناس على الدروس والخطب ، وأخذ العدد يزداد فى دروس المساء التى كانت تمتد من المغرب إلى ما بعد العشاء كل يوم ، وقد تنوعت مواد الدراسة فيها من تفسير إلى حديث إلى فقه إلى تاريخ إلى عقيدة إلى أخلاق ، بالإضافة إلى خطبة الجمعة ودرس بعدها ، وخصصت الوقت من بعد صلاة العصر إلى أذان المغرب للإجابة عن الأسئلة والفتاوى وحل المشكلات ، كما قمت بالإشراف على المدرسة

المخصصة لتحفيظ القرآن الكريم ، ولما كان الكثير من الطلبة فى حاجة إلى دروس التقوية فى المواد ولا يجدون ما ينفقون ، فقد دعوت إلى التدريس للكبار والصغار فى دروس التقوية ، وفى مختلف المراحل الدراسية حتى الشهادة الثانوية ، واشترطت أن يكون ذلك بالمجان ، وقد اخترت لذلك إخوة نذروا أنفسهم لله ، وكنت أقوم بتدريس اللغة العربية لطلبة الثانوية ، ويقوم أخى الفاضل عبد الرحمن الزينى بتدريس اللغة الإنجليزية ، ويقوم إخوة آخرون بتدريس بقية المواد ، وسارت الأمور فى جو معتدل بجد وحزم واجتهاد ، كما سارت أمور المسجد بنظام وجد وضاق المسجد بالمصلين يوم الجمعة ، فتبرع أحد رواد المسجد بتشييد بناء على أرض الحديقة يقى المصلين شدة الحر والبرد والمطر ، وضاق البناء بالمصلين ، ولم يبق هناك موضع قدم فى أرض الحديقة ، فقمنا بشراء كميات هائلة من الحصير ، حيث فرشنا بها الشوارع المحيطة بالمسجد حتى ضاقت هى الأخرى مما كان يؤدى إلى تحويل مرور السيارات من شارع الملك إلى شارع آخر .

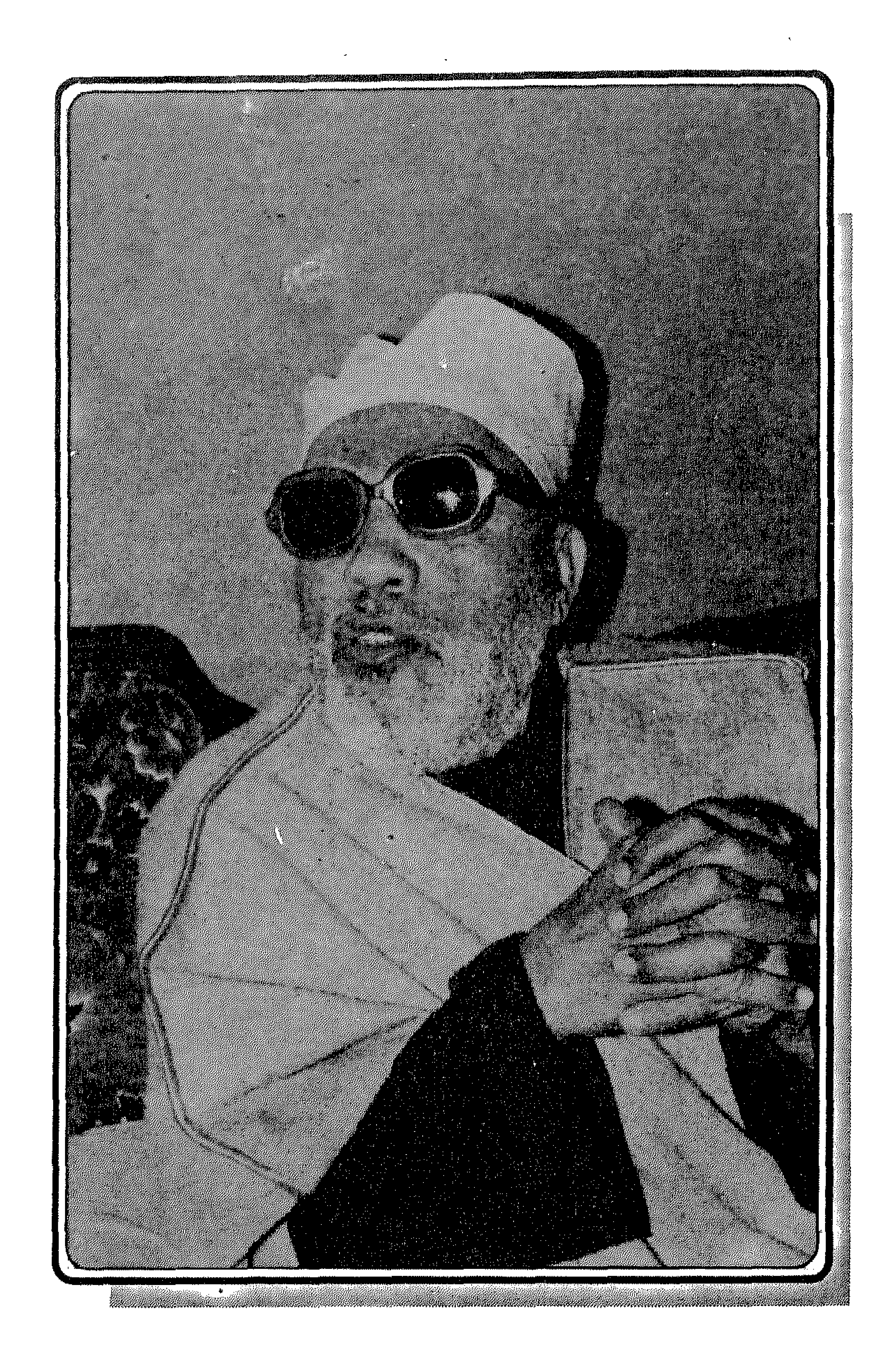
* * *

• • وما هى عادة الشيخ كشك فى الخطابة ؟

• من عادتى فى الخطابة أننى أقدم بمقدمة تشد السامع شدًّا قويًّا مؤثرًا ؛ حتى أوقظ الوسنان وأنبه الغافل ، ويكون ذلك بمثابة استحضار للشعور ، فإن هناك من يجلس معى بجسمه ، وقلبه كما قال شوقى :

لقد أنلتُك أذناً غير واعية ... ورُبَّ مستمعٍ والقلب فى صمم

* * *





• • كلنا يعلم اهتمام الشيخ كشك بالسياسة .. فما رأيك فى الخطب السياسية التى تسمعها ؟

• إن الخطاب السياسى يحتاج محللًا سياسيًا .. لكننى أسمع لأرى كيف تدور الأحداث .. والأحداث فى هذه الأيام لابد لنا من تعليق ووقفة عليها .. فأنا مؤمن كل الإيمان أن الحوار لابد له من حوار، ولا أؤمن بأن القضايا الفكرية تعامل بالعنف ، ولذلك علمنا الله تعالى كيف نرد على القضايا الفكرية ، فقال تعالى : ﴿ **ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ** ﴾ بماذا ؟ بالحكمة أولاً ، والموعظة الحسنة ثانياً ، والجدال بالتى هى أحسن ثالثاً .. مخطئ من قال : إن الإسلام رفع السيف فى القضايا الفكرية .. إن الإسلام انتشر بسيف العقل لا بحد السيف ، فالسيف قد يفتح البلاد ، ولكنه لا يفتح القلوب .

* * *

• • وما الرسالة التى أردت أن تؤديها فى هذا المسجد (مسجد الملك) ؟

• رأيت أن أجعل رسالة المسجد رسالة عامة لتنظيم أنشطة المجتمع ، فجعلته يمثل خمس وزارات : الثقافة والإرشاد فى خطبة الجمعة ، ودروس المساء ، التربية والتعليم فى التدريس للطلبة ، الصحة وذلك عندما دعوت الأطباء لعلاج الفقراء بالمجان ، فلبى عدد كبير منهم النداء ، فأرسلوا إلينا بتذاكر العلاج فى مختلف التخصصات الطبية ، فكان الفقير يأخذ التذكرة الخاصة بمرضه ويذهب بها إلى عيادة الطبيب مرفوع الرأس موفور الكرامة ، ولقد تقدم بعض الصيادلة لصرف الدواء مجاناً ، وكان المسجد أيضاً يمثل وزارة العدل .

وقد كونت لجنة للمصالحات وفض المنازعات ، والفصل فى

الخصومات ، وكم من المشاكل حلت بإذن الله .

كذلك قامت بالمسجد لجنة تمثل الشئون الاجتماعية تبحث أحوال الأسر الفقيرة ، فتجرى عليها المعونات الشهرية ، والكسوة فى الشتاء والصيف ، بالإضافة إلى المواد التموينية فى الأعياد والمواسم ، وتوزيع اللحوم فى عيد الأضحى ، فقد تكون هناك بيوت لا ترى اللحم إلا قليلًا ، يقول فيها شاعر النيل حافظ إبراهيم :

عزّتِ السّلعة الذليلة حتى ... باتَ مسح الحذاء خطباً جساما
وغدا القوت فى يد النّاس كالياقوت ... حتى نَوَى الفقير الصياما
ويَخال الرّغيف فى البعد بدرًا ... ويظنّ اللحوم صيدًا حرامًا
إن أصاب الرّغيف من بعد كَدّ ... صاح من لي أصيب الإداما
أيها المصلحون رفقًا بقومٍ ... قيد العجز شَيْخَهُمْ والغلاما
وأغيثوا من النُّفوس غلاءً ... قد تمنت مع الغلاء الحماما
أنقذوا أنفسًا أضرّ بها الفقر ... وأحيا بموتها الآثاما

* * *

•• الشيخ كشك .. لا شك أنك إمام المساجد المصرية ، فما فضل المساجد ؟

• قال الله تبارك وتعالى فى الصفة الأولى للمؤمنين : ﴿ **وَالَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ** ﴾ ثم أكد معنى الإيمان فى قوله جل شأنه : ﴿ **إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ** ﴾ .

وفى قوله تبارك اسمه : ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ * رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وإقَامِ الصَّلاةِ وإيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ والأَبْصَارُ﴾ .

وفى قوله تعالى : ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أن يَتَطَهَّرُوا واللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ .

هذه آيات قرآنية أردنا بذكرها أن نبين فضل المساجد فى الإسلام وأنها البيوت التى تربى فيها النفوس تربية صحيحة ، لا تعرف الانحراف ، ولا تميل إلى الزلل .

* * *

•• وما فضل تنظيف المساجد ؟

• أمر الشرع بتنظيف المساجد وتطهيرها ، وقد أوصى الحبيب المصطفى ﷺ بذلك ، وبين ما لهذا العمل الجليل من فضل .

فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن امرأة سوداء كانت تقم بالمسجد ، ففقدها رسول الله ﷺ ، فسأل عنها بعد أيام ، فقيل له : إنها ماتت ، فقال : فهلا آذنتمونى ! ، فأتى قبرها ، فصلى عليها .

وروى الطبرانى فى الكبير عن ابن عباس رضى الله عنهما « أن امرأة كانت تلتقط القذى من المسجد فتوفيت فلم يؤذن النبى ﷺ بدفنها ، فقال النبى ﷺ : « إذا مات لكم ميت فأذنونى ، وصلى عليها وقال : إنى رأيتها فى الجنة تلقط القذى من المسجد » .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« من أخرج أذى من المسجد بنى الله له بيتاً فى الجنة » .

* * *

•• وهل كانت هناك عراقيل وعقبات أمامك وقتها فى مجال الدعوة ؟

• ما من عمل ناجح فى الحياة إلا وتكتنفه شدائد ومحن ، فالحاسدون فى الدنيا كثيرون ، والنفوس المريضة تملأ جنبات الحياة ، وتنفث سمومها الناقعات ، وخفافيش الظلام تعمى عن رؤية الأجسام البينة لنا فى ضوء الشمس ، وقد جعلت شعارى دائماً فى الحياة قول الله جل شأنه : ﴿ **قُلْ لنْ يُصِيبنَا إلَّا مَا كَتَبَ اللَّه لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّه فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ** ﴾ .

* * *

•• ماذا يقول الشيخ كشك لكل من يعمل فى ميدان الدعوة ؟

• على كل إنسان يعمل فى ميدان الدعوة أن يتحلى بالصدق والأمانة والصبر والشجاعة ، وأن يقول الحق ولو كان مرًّا ، ولا يخشى فى الله لومة لائم .

اصبرْ على كيدِ الحسودِ ... فإن صَبْرَك قاتِلُه
فالنَّار تأكلُ بعضها ... إن لم تجدْ ما تأكله

وعلى الداعية ألا يضيق صدراً بالأمور ، فالليل مهما طال ، فلابد من طلوع الفجر ، وكلما اشتد الكرب هان ، والعظائم كفؤها العظماء ، فلا يكن فى صدره حرجٌ من قول الأعداء وتقول الشامتين :

ولا تجزعْ لحادثة الليالى ... فما لحوادث الدنيا بقاءُ

وكن رجلاً على الأهوال جلداً ... وشيمتُكَ السَّماحة والوفاءُ
يغطِّى بالسّماحة كلَّ عيب ... وكم عيب يغطيه الحياءُ
إذا كنت ذا قلب قَنوعٍ ... فأنت ومالك الدنيا سَواءُ
ومن نزلتْ بساحته المنايا ... فلا أرض تَقِيه ولا سماءُ
وأرض الله واسعةٌ ولكن ... إذا نزل القضاء ضاقَ الفضاءُ

وليعلم الدعاة إلى الله أن طريق الدعوة ليس مفروشاً بالورود والأزهار ، إنما الطريق صعب تحفه الشدائد والمحن .

* * *

•• وهل أفادتك دراستك فى تخصص التدريس فى مجال الدعـوة ؟

• نعم .. لقد حصلت على تخصص التدريس وهو إحدى الشهادات الأزهرية التى تسمى (العالمية) مع تخصص التدريس .. وهى شهادة تخول حاملها أن يعمل مدرساً بالأزهر ، وكان حصولى عليها فى أثناء عملى بمسجد الطيبى ، ولكننى قد أخذت طريقى إلى الله بالدعوة فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه .

* * *

•• ما السبيل إلى الخروج من الأزمة الاقتصادية التى تواجه الوطن العربى بأسره ؟

• عندما تولى الرئيس الأمريكى الأسبق (ريتشارد نيكسون) حكم الولايات المتحدة الأمريكية ، ألقى خطاباً مازال صداه يرن فى أُذنى .. قال : إن الولايات المتحدة الأمريكية لا تعانى أزمة اقتصادية ،

إنما تعانى أزمة روحانية .. لقد وجدنا أنفسنا أغنياء فى السلع ، لكننا فقراء فى الروح .

ومن هنا نعلم أن الاقتصاد لا يصان إلا بالوازع الدينى ، وبتعليم الأمانة .. وإلا فإن بناء المصانع قد يكون سهلًا .. وبناء ناطحات السحاب قد يكون سهلًا .. أما بناء النفوس فهو عقبة العقبات .

لذلك وقف عمر بن الخطاب ذات يوم فى مسجد رسول الله ﷺ وطرح سؤالًا على الصحابة ، فقال لهم : ماذا تتمنى يا فُلان ؟ فقال : أتمنى ملء المدينة خيلًا أغزو بها فى سبيل الله .. وماذا تتمنى أنت ؟ فقال : أتمنى ملء المدينة عبيداً أعتقهم ابتغاء رضوان الله تعالى .. فسألوا عمر : ماذا تتمنى أنت ؟ فأنصت قليلًا ثم قال : أتمنى ملء هذا المسجد رجالًا أمثال أبى بكر .

* * *

• • ما رأى فضيلتكم فى ظاهرة التكاسل وهروب الموظفين قبل المواعيد المحددة لوظائفهم والنوم على المكاتب .. وما إلى ذلك من الظواهر السلبية التى تفشت بصورة كبيرة فى المؤسسات على المستوى العربى الآن؟ وما الحل الناجح لها ؟

• علاج هذه الظاهرة فى الإسلام – وكل مشكلة لها فى الإسلام حل – يكون بتربية الضمير الدينى ، وتعليم الناس ما هو الحلال وما هو الحرام ، وتعليم الناس الصدق والأمانة .

وهناك تحذير قال فيه النبى ﷺ : « ينام الرجل النومة فتنزع الأمانة من قلبه ، حتى يأتى على الناس زمان إذا رأوا فيه رجلًا أمينًا عجبوا وقالوا : إن فى بنى فلان رجلًا أميناً » .

فالتوعية الدينية لها المكانة العليا .. أما الرقابة سواء كانت رقابة عسكرية أو رقابة لمكافحة التهرب ، أو لمحاربة المخدرات والسموم البيضاء فكل هذا جانب ، لكنه لا يغنى عن الجانب الحقيقى .. فالعقوبة أو التربية فى الإسلام تقوم على تلك الخطط .. الأولى قبل كل شىء القدوة ، ثم بعد ذلك الأسرة ، ثم المسجد ، ثم المدرسة ، ثم بعد ذلك المجتمع .. ثم بعد ذلك وهو عنصر مهم « الإعلام » بمعناه الواسع معروضاً ومقروءًا ومسموعاً ومرئيًا .

ولا بد من ربط الناس ووصلهم بالله تعالى : « اعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » .

* * *

•• فضيلة الشيخ .. شتان بين حضارة وحضارة .. فما الفرق بين الحضارة الإسلامية ، والحضارة الغربية المادية ؟

• « روجيه جارودى » هو واحد من ثلاثة من أكبر شراح الماركسية وطليعة الفكر الشيوعى فى أوربا ، وعلم من أعلام الفلسفة فى فرنسا ، ومكافح حمل العلم والبندقية فى وجه الظلم طوال حياته . هذا الفارس المقاتل والملاح الذى طوّف البحار السبعة قد ألقى مراسيه على شاطئ الإسلام ، ورفع راية (لا إله إلا الله) .

وقد كتب « جارودى » عن الحضارة التى تنتحر ، تلك الحضارة المادية التى خلعت الله عن عرشه ، وأقامت الإنسان مكانه ، وجعلت من الإنسان إلها وسيداً على الكون والطبيعة .. وفى تحليل دقيق حاول أن يضع يده على ثغرات هذه الحضارة .

إن النموذج السوفيتى والنموذج الأمريكى كلاهما وجهان لعملة

واحدة ، وحضارة مادية واحدة تقدس الفرد ، وهذا التقديس أدى إلى ظهور أباطرة رأس المال والاحتكار فى أمريكا ، وفى الناحية الأخرى أدى إلى النظم الشمولية والدكتاتوريات التى أصبح الفرد فيها طاغية يبتلع المجتمع كله فى داخله .

والعلاقات الاجتماعية فى هذا اللون من الحضارة المادية واحدة وهى علاقات عمودية التسلسل من الاستعباد والسخرة فى المجتمعات الشيوعية ، أو علاقات أفقية من المنافسة والصراع فى المجتمعات الرأسمالية ، ولذا كان طابع الحياة فى الاثنين هو العنف ، وتصادم المصالح ، وإرادة الهيمنة والقوة .

والاقتصاد فى هذه الحضارة المادية لا يهدف إلى نمو صحى ، بل يخدم نوعاً من النمو الوحشى هدفه مجرد تشغيل الآلة حتى ولو كانت تنتج أشياء بلا فائدة ، أو أشياء ضارة ، أو أشياء مدمرة .

أما الثقافة والفكر والفن والبرامج التعليمية ، فهى مجندة مسخرة لإعادة ترويج وتصنيع وطبع نسخ أخرى من هذه المجتمعات الفاسدة .

والعلم فى هذه الحضارة هو علم للعلم ، وفن للفن ، وحياة لمجرد الحياة بلا معنى أو حكمة .

أما النظرة الإسلامية فهى نظرة جامعة بين العلم والحكمة ﴿ **اقْرأ باسْم رَبّكَ** ﴾ والمسلم ينظر إلى كل شىء على أنه آية فيها شواهد الحكمة والعناية والقدرة الإلهية .

والإسلام يعلمنا أنه فى ضوء الإيمان بالله يبدو لكل شىء حكمته ، ولكل حدث غاية خيّرة وإن خفيت .

والإنسان فى الإسلام خليفة لله فى الأرض ؛ لمواصلة الخلق

والإبداع والعمارة ، وإفشاء السلام والمحبة والرحمة والخير ، والعلم فى الإسلام لا ينفصل عن الحكمة ، ولا عن الإيمان ، كما لا ينفصل الدينَ عن السياسة ، ولا الدين عن الاقتصاد .

نحن هنا أمام حضارة مختلفة ، وإنسان مختلف ، هكذا يعلن « جارودى » .

إن الحضارة الإسلامية تعطينا إنساناً تخطى حاجاته ، وتجاوز رغباته ثم بدأ يعلو على ذاته نفسها ، ثم بدأ يعلو على الزمن ليبنى المساجد ، ويخاطب الأزل ، ويناجى الأبد .

بهذا الوضوح المبهر يرى « جارودى » الإسلام من الشاطئ الآخر من البحر ، وهو يرى فيه دين المستقبل ونظام المستقبل ، ويرى فيه طوق النجاة للعالم ، وهو يرى المسلمين قادرين على حمل هذا المشعل ، شريطة أن يفتحوا باب الاجتهاد ويعودوا للتفاعل مع العصر ، ويتخطوا الحرفية السلفية إلى فهم حركى لكل المتغيرات التى جدت على الساحة .

* * *

•• فضيلة الشيخ .. تفيض قلوبنا حسرةً وألماً على الكثير من البلاد الإسلامية التى تتعرض للعذاب والاضطهاد .. فكيف السبيل إلى إنقاذ البوسنة والشيشان وغيرها ؟

• والله .. السبيل يتلخص فى تلك الخطوات :

توحيد الكلمة على كلمة التوحيد ، وتوحيد المسلمين صفًّا وهدفاً .. أما أن نكون كما نحن عليه كالغنمة الشريدة فى الليلة الشاتية .. نحن لسنا ضعفاء .. نحن أقوياء .. ولكننا ضعفاء بفرقتنا ؟ وعدونا ضعيف ، ولكنه قوى بوحدته .

صلاح الدين عندما أراد أن يخوض الحروب الصليبية وحّد الأمة أولًا - وحّد الشام ، ووحّد مصر ، ووحّد الجزيرة العربية .. ثم ضرب ضربته بعد احتلال المسجد الأقصى بـ ٩١ يوماً ، ونصره الله ، لدرجة أنه جلس مع هيئة أركان حربه ذات يوم ، فدارت بينهم دعابة .. فضحكوا ولم يبتسم .. قيل له : أيها القائد ، لم لا تبتسم ؟! قال : أستحيى من الله أن يرانى وأنا مبتسم والمسجد الأقصى فى أيدى الصليبيين .. هذا قول فصل ، وما هو بالهزل !

* * *

• • وما ذكرياتك عن الأيام التى قضيتها فى المعتقل ؟

• لقد ذقت الأمرين فى المعتقل ، وعندما دخلت المعتقل لأول مرة فى عام ١٩٦٥م إلى عام ١٩٦٨م لم أُسْأَلْ إلا عن اسمى .. ما اسمك ؟ وخرجت من المعتقل لم أسأل إلا عن اسمى .. حتى سألت لماذا دخلت .. وبأى ذنب اعتقلت ؟ لم أجد سؤالًا أو جواباً عن هذا .

فأنا من الذين عانوا كثيرًا من التهم ، ومن الرمى بالتهم !!

* * *

• • هل حقيقة أن يوم الجمعة هو سيد الأيام .. وما فضائله ؟

• لو ظللت العمر كله أكتب عن فضائل هذا اليوم « يوم الجمعة » لنفد العمر قبل أن ينفد الحديث عن خصائص هذا اليوم المشهود ، إنه ركن ركين وحصن مكين من أركان الإسلام العظيم .

سيدى أبا القاسم :

فكم زالتْ رياض من رُباها وكم بادت نخيل فى العوادى

ولكن نخلة الإسلام تنمو على مرّ العواصف والعوادى
ومجدك فى حمى الإسلام باقٍ بقاءَ الشمس والسّبع الشّدادِ

ألست أنت يا سيدى الذى قلت : « إن يوم الجمعة سيد الأيام وأعظمها عند الله ، وهو أعظم عند الله من يوم الأضحى ويوم الفطر ، وفيه خمس خلال : خلق الله فيه آدم ، وأهبط الله فيه آدم إلى الأرض ، وفيه توفى الله آدم ، وفيه ساعة لا يسأل اللّهَ فيها العبدُ شيئاً إلا أعطاه إياه ما لم يسأل حراماً ، وفيه تقوم الساعة ، ما من ملك مقرب ولا سماء ولا أرض ولا جبال ولا بحر إلا وهن يشفقن من يوم الجمعة .

ولقد جعل الله تعالى يوم الجمعة عيداً للمسلمين ، وجعل فيه من النفحات والرحمات والبركات ، فمن بركات هذا اليوم ، وهى بركات تعم الموتى بعد أن ينتقلوا من ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة ، ومن جوار الخلق إلى رحاب الحق ، وإن من مات يومها أو ليلتها فلا يسأل فى قبره .

أخرج الترمذى وحسنه ، والبيهقى ، وابن أبى الدنيا وغيرهم عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من مسلم يموت ليلة الجمعة أو يوم الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر » .

* * *

•• وهل حقيقة أن يوم الجمعة فيه ساعة إجابة ؟

• روى الشيخان عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ ذكر يوم الجمعة ، فقال : « فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلى يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه ، وأشار بيده يقبلها » .

ولمسلم عنه : « إن فى الجمعة لَساعةً لا يوافقها مسلم سأل اللّهَ فيه خيراً إلا أعطاه إياه – هى ساعة خفية » .

والحكمة فى إخفائها حث العباد على الاجتهاد فى الطلب ، واستيعاب الوقت بالعبادة .

وقد اختلف العلماء فى تحديد هذه الساعة ، فقيل : هى عند أذان المؤذن لصلاة الغداة ، أخرجه ابن أبى شيبة عن عائشة .

وقيل : من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس . رواه ابن عساكر عن أبى هريرة .

وقيل : هى أول ساعة بعد طلوع الشمس . حكاه الجبلى والمحب الطبرى .

وقيل : هى إذا أذن المؤذن لصلاة الجمعة . والله أعلم .

* * *

•• فضيلة الشيخ .. كثيرًا ما سمعنا عن سجود التلاوة ، فماذا يعنى ذلك ؟ وما كيفية السجود ؟

• فى القرآن الكريم آيات يستحب للمسلم إذا قرأها أن يسجد سجدة تسمى « سجدة التلاوة » .

ومن قرأ آية السجدة أو سمعها يستحب أن يكبر ويسجد سجدة ، ثم يكبر للرفع من السجود ، وهذا يسمى « سجود التلاوة » ، ولا تَشَهُّد فيه ولا تسليم ، فعن نافع عن ابن عمر – رضى الله عنهما – قال : كان رسول الله ﷺ يقرأ علينا القرآن ، فإذا مر بالسجدة كبَّر وسجد وسجدنا .

ولا شك أن لسجدة التلاوة فضلًا عظيماً ، فعن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : «إذا قرأ ابن آدم السجدة

فسجد ، اعتزل الشيطان يبكى يقول : يا ويلى ، أمر بالسجود فسجد فله الجنة ، وأمرت بالسجود فعصيت فلى النار » .

* * *

•• وما مواضع السجود فى القرآن ؟

• مواضع السجود فى القرآن خمسة عشر موضعاً :

فعن عمرو بن العاص – رضى الله عنه – أن رسول الله ﷺ أقرأه خمس عشرة سجدة فى القرآن ، منها ثلاث فى « المفصل » وسجدتان فى الحج ، وهاهى ذى المواضع التى يسن للقارئ أو المستمع أن يسجد عند قراءتها أو سماعها :

١ – قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ** ﴾ (الأعراف :٢٠٦) .

٢ – ﴿ **وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى السَّماواتِ والأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَظِلالُهُم بِالغُدُوّ وَالآصَالِ** ﴾ (الرعد : ١٥) .

٣ – ﴿ **ولِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى السَّماواتِ وَمَا فِى الأَرْضِ مِن دَابَّةٍ والْمَلائِكَةُ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ** ﴾ (النحل : ٤٩) .

٤ – ﴿ **قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا** ﴾ (الإسراء : ١٠٧) .

٥ – ﴿ **إذا تُتْلَى عَلَيْهِم آيَات الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وبُكيًّا** ﴾ .
(مريم : ٥٨)

٦ – ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِى السَّماواتِ وَمَن فِى الأَرْضِ وَالشَّمْسُ والْقَمَرُ والنُّجُومُ والْجِبَالُ والشَّجَرُ والدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ**

مِن النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْه الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُكْرِمٍ إنَّ اللَّه يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ (الحج : ١٨) .

٧ - ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اركَعُوا واسْجُدُوا واعبدُوا رَبَّكم وافعَلُوا الْـخَير لَعَلَّكُم تفلِحُونَ ﴾ (الحج : ٧٧) .

٨ - ﴿ وَإذَا قِيلَ لَهُم اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِـمَا تَـأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴾ (الفرقان : ٦٠) .

٩ - ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِى يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِى السَّماواتِ والأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾ (النمل : ٢٤) .

١٠ - ﴿ إنَّـمَا يُؤْمِنُ بِـآيَاتِنَا الَّذِينَ إذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (السجدة : ١٥) .

١١ - ﴿ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّـمَا فَـتَـنَّاهُ فَاسْتَـغْـفَر رَبَّـهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وأَنَاب ﴾ (ص : ٢٤) .

١٢ - ﴿ وَمِنْ آيَاتِـهِ الَّلَيْلُ والنَّهَارُ والشَّمْسُ والْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلْشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَر وَاسْجُدُوا لِلَّه الَّذِى خَلَقَهُنَّ إنْ كُنتُمْ إيَّاه تَعْبُدُونَ ﴾ (فصلت : ٣٧) .

١٣ - ﴿ فَاسْجدُوا لِلَّهِ واعْبدُوا ﴾ (النجم : ٦٢) .

١٤ - ﴿ وَ إذَا قُرِئَ عَلَيْهِم القُرآنُ لَا يَسْجُدُونَ ﴾ (الانشقاق : ٢١)

١٥ - ﴿ وَاسْجدْ وَاقْتَرِب ﴾ (العلق : ١٩) .

* * *

•• فضيلة الشيخ .. كثيرًا ما نسمع عن فضل بعض سور القرآن الكريم ومنها سورة الفاتحة .. فما أفضالها ؟

• سورة الفاتحة تعتبر « أم الكتاب » ؛ لاشتمالها على الخطوط العريضة للمنهج القرآنى الرفيع .

فقد اشتملت هذه السورة الكريمة على العقيدة والجزاء والعبادة والأخلاق والتاريخ .

ففى قوله – جل شأنه – : ﴿ **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ** ﴾ يتمثل جانب العقيدة .

وفى قوله – سبحانه وتعالى – : ﴿ **مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ** ﴾ يتمثل جانب الجزاء .

وفى قوله – جل شأنه – : ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾ يتجلى جانب العبادة .

وفى قوله – تبارك وتعالى – : ﴿ **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** ﴾ يتضح المنهج الأخلاقى .

وفى قوله – عز وجل – : ﴿ **صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ** ﴾ يظهر بجلاء الجانب التاريخى .

وعلى هذه المبادئ الكريمة سارت نجوم القرآن فى أفلاكه .

فعن ابن سعيد بن المعلى – رضى الله عنه – قال : كنت أصلى بالمسجد فدعانى رسول الله ﷺ فلم أجبه ، ثم أتيته ، فقلت : يا رسول الله إنى كنت أصلى ، فقال : ألم يقل الله تعالى : ﴿ **اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ** ﴾ ثم قال : « لأعلمنك سورة هى أعظم سورة فى القرآن قبل أن نخرج من المسجد ، فأخذ بيدى ، فلما

أردنا أن نخرج قلت : يا رسول الله إنك قلت : لأعلمنك أعظم سورة فى القرآن ، قال : الحمد لله رب العالمين ، هى السبع المثانى والقرآن العظيم الذى أوتيته » .

* * *

•• وما فضل سورة البقرة ، ومكانتها عند الله ؟

• يكفى فى فضلها أنها إذا قُرئت فى البيت تنظفه وتطهره من أرجاس الشيطان وأنجاسه ووساوسه ومكايده .

وأولى بالذين يضلون ويطرقون أبواب السحرة والكهنة والدجالين والعرافين ، أولى بهم جميعاً أن يفيقوا من غفوتهم ، ويستيقظوا من غفلتهم ، ويسلكوا هذا الطريق ، فإنه طريق الرسول محمد ﷺ الذى لا ينطق عن الهوى ، إن هو إلَّا وَحىٌ يُوحى .

أولى بهؤلاء أن يقفوا على قول الرسول الأعظم والنبى الأكرم : « لا تجعلوا بيوتكم مقابر ، إن الشيطان يفر من البيت الذى تقرأ فيه سورة البقرة » .

أما عن مكانتها عند الله ، فيجيب عن هذا نبى الرحمة المهداة ، فى الحديث الذى رواه الإمام أحمد عن معقل بن يسار ، قال : قال رسول الله ﷺ : « البقرة سنام القرآن وذروته ، نزل مع كل آية منها ثمانون ملكاً ، واسْتُخْرجتْ ﴿ **اللَّه لَا إلـه إلَّا هُوَ الْـحَى الْقَـيُّوم** ﴾ من تحت العرش ، فوصلت بها أو فَوُصِلَتْ بسورة البقرة » .

ومن هذا الحديث نعلم ما لهذه السورة من مكانة .. فهى السنام والذروة والقمة الشامخة .

ويكفى كذلك من فضلها ومكانتها أن كل آية من آياتها شيعتها بعثة شرف ملائكية ، قدرت بثمانين ملكاً .

* * *

●● وما فضل آية الكرسى ؟

● إنه مما يزيد سورة البقرة تشريفاً أنها اشتملت على آية الكرسى **﴿ اللَّه لَا إِلٰه إِلَّا هُوَ الْـحَىُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَومٌ لَـهُ مَا فِى السَّمٰوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ مَن ذَا الَّذى يَشْفَعُ عِندَه إِلَّا بـإِذْنِـهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِن عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّماواتِ والأَرْضَ وَلَا يؤُوده حِفْظُهمَا وَهُوَ الْـعَلِىُّ الْعَظِيم ﴾** (البقرة : ١٥٥) .

يقول العلامة ابن كثير - رحمه الله - : (هذه آية الكرسى ، ولها شأن عظيم ، وقد صح الحديث عن رسول الله ﷺ أنها أفضل آية فى كتاب الله) .

وقد روى أن هذه الآية الكريمة قد اشتملت على اسم الله الأعظم الذى إذا سئل به أعطى ، وما دعى به إلا أجاب .

وروى الإمام أحمد عن أنس بن مالك - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ سأل رجلًا من صحابته فقال : أى فلان : هل تزوجت ؟ قال : لا وليس عندى ما أتزوج به ، قال : « أوليس معك **﴿ قُلْ هُوَ اللَّه أَحد ﴾** ؟ » قال : بلى ، قال : « ربع القرآن » .

قال : « أليس معك : **﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ ﴾** ؟ » قال : بلى ، قال : « ربع القرآن » .

قال : « أليس معك ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ ﴾ ؟ » قال : بلى قال : « ربع القرآن » .

قال : « أليس معك آية الكرسى : ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ ؟ » قال : بلى ، قال : « ربع القرآن » .

* * *

•• وما فضل قراءتها بعد الصلاة ؟

• عن أبى أُمامة قال : قال رسول الله ﷺ : « من قرأ دبر كل صلاة مكتوبة (آية الكرسى) لم يمنعه من دخول الجنة إلَّا أن يموت » .

وقد ذكر العلامة (ابن كثير) أن هذه الآية مشتملة على عشر جمل مستقلة ، ثم أخذ يفصل هذه الجمل ، فقال - رحمه الله - :

أولًا : ﴿ **اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ** ﴾ إخبار بأنه المنفرد بالألوهية لجميع الخلائق .

ثانياً : ﴿ **الحى القيوم** ﴾ أى الحى فى نفسه الذى لا يموت أبدًا ، القيم لغيره ، وكان عمر يقرأ : القيام ، فجميع الموجودات مفتقرة إليه .

ثالثاً : ﴿ **لا تأخذه سنةٌ ولَا نَومٌ** ﴾ أى لا يعتريه نقص ولا غفلة ولا ذهول عن خلقه ، بل هو قائم على كل نفس بما كسبت ، ومن تمام القيومية أنه لا يعتريه سنة ولا نوم ، فقوله ﴿ لا تأخذه ﴾ أى لا تغلبه سِنة وهى الوسن والنعاس ، ولهذا قال : ﴿ولا نوم﴾ لأنه أقوى من السِّنةِ .

رابعاً : ﴿ **له ما فى السّماوات وما فى الأرض** ﴾ إخبار بأن جميع

عبيده فى ملكه تحت قهره وسلطانه ، كقوله ﴿**إن كُلُّ مَن فِي السَّماواتِ والأرْض إلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا لَقَدْ أَحصَاهُم وعدَّهُمْ عَدًّا وَكلّهُم آتِيه يَوْم القِيَامَة فَردًا**﴾ .

خامساً : ﴿ **من ذا الذى يَشفع عنده إلَّا بإذنه** ﴾ كقوله : ﴿ **وَكَمْ مِن مَلك فِي السَّماوات لَا تُغْنِي شَفَاعَتهُمْ شَيْئًا إلَّا من بَعْد أنْ يَأْذَنَ اللَّه لِمن يَشاءُ وَيَرضَى** ﴾ وكقوله تعالى : ﴿ **وَلَا يَشْفَعونَ إلَّا لِمن ارتَضَى** ﴾ وهذه من عظمته وجلاله وكبريائه عز وجل ، أنه لا يتجاسر أحد على أن يشفع لأحد عنده إلا بإذنه له فى الشفاعة .

سادساً : ﴿ **يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم** ﴾ دليل على إحاطة علمه بجميع الكائنات ماضيها وحاضرها ومستقبلها .

سابعاً : ﴿ **ولا يحيطون بشىء من علمه إلَّا بما شاء** ﴾ أى لا يطلع أحد من علم الله على شىء إلا بما أعلمه الله عز وجل وأطلعه عليه .

ثامناً : ﴿ **وسع كرسيه السَّماوات والأرض** ﴾ قال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا ابن إدريس عن مطرف بن طريف عن جعفر بن أبى المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **وسع كرسيه السموات والأرض** ﴾ قال : (علمه) .

تاسعاً : ﴿ **ولا يؤوده حفظهما** ﴾ أى لا يثقله ولا يكترثه لحفظ السموات والأرض ومن فيهما وما بينهما ، بل ذلك سهل عليه ، يسير لديه ، وهو القائم على كل نفس بما كسبت ، الرقيب على جميع الأشياء .

عاشرًا : ﴿ **وهو العلى العظيم** ﴾ كقوله : ﴿**وَهُوَ الْكَبِير**

الْـمُتعَال ﷻ سبحانك ربى تنزهَتْ عن الشريك ذاتُك ، وتقدَّستْ عن مشابهة الأغيارِ صفاتُك ، إنك الموجود لا من علة ، الواحد لا من قلة .. بالبر معروف ، وبالإحسان موصوف . كل شىء قائم بك .. وكل شىء خاشع لك .. سبحانك ربى .. لا إله إلا أنت سبحانك .

* * *

•• وماذا عن ذكرياتك فى شهر رمضان المبارك ؟

• كان لرمضان ولا يزال ، وسيظل له وقع طيب فى نفسى ونفس كل مسلم ، إلا أننى أذكر هنا ما كان لرمضان فى نفسى من أثر وأنا طالب :

كنت أخرج من مسكنى بدير الملاك فى الثامنة صباحاً متجهاً مع مرافقى إلى أصول الدين بشبرا سيراً على الأقدام ، فأصل فى التاسعة إلا ربعًا ، حيث تبدأ الدراسة فى التاسعة ، وفى الواحدة والنصف من بعد الظهر كنت أعود لا إلى مسكنى ، إنما إلى بيت الله تعالى فى حى الشرابية فى مسجد يسمى المنوفى .

ولهذا المسجد ذكريات طيبة فى نفسى ، فقد كنت فيه أدعو إلى الله تعالى على بصيرة من عام ١٩٥٤م إلى أن عُينت بوزارة الأوقاف بعد تخرجى فى عام ١٩٦٢م ، ومازلت أذكر أننى قضيت فى هذا الحى سنين كانت أفضل أيام حياتى فى الدعوة ، فقد كان أهله رجالًا والرجال قليل ، كانوا كرامًا طيبين .

وكنت إذا فرغت من الدراسة فى الكلية أعود إلى هذا المسجد قبيل العصر فى رمضان ، وبعد صلاة العصر أجلس بين المصلين ، فألقى الدرس اليومى من بعد صلاة العصر إلى اصفرار الشمس ، وأذكر ذات يوم فى رمضان أن تكاثرت أسئلة المصلينَ فى أثناء الدرس ، فاستمعت

إليهم جميعًا وكانت تزيد على العشرين سؤالًا ، ومن بركات هذا المسجد أننى أجبت عنها جميعاً سؤالًا سؤالًا ، وبالترتيب كأنى أمام إحدى لجان الامتحان ، ثم نذهب بعد الدرس نتناول طعام الإفطار على موائد الكرم عند إخوان امتلأت قلوبهم بحب الله ورسوله .

وبعد أن أصلى المغرب أتوجه إلى كوبرى القبة لأدرك صلاة العشاء فى مسجد هناك كانت تغشانا فيه الرحمات .

وبعد صلاة العشاء كنت أقرأ فى القيام جزءًا كاملًا كل ليلة ، ويتخلل صلاة القيام درس من العلم يستمر نصف ساعة ، وكنت أعود بعد صلاة القيام إلى مسكنى بدير الملاك ، وقد أوشك ليل القاهرة أن ينتصف ، وما هى إلا سويعات ويأتى وقت السحور ، فصلاة الفجر ، فشروق الشمس ، فيوم جديد ينادى فيه المنادى : يا ابن آدم أنا خلق جديد ، وعلى عملك شهيد ، فاغتنم منى فإنى لا أعود إلى يوم القيامة .

* * *

•• وماذا يقول الطب عن الصيام ؟

• لقد قام الصيام بدور عظيم فى الطب بقسميه : القسم الوقائى ، والقسم العلاجى ، ومن الناس من يتوهم أن فى الصيام مضرة تلحق بالصائم ، لما يصيب الجهاز الهضمى خاصة ، وغيره عامة ، ولمَا يكون من بعض الصائمين من انفعال وغضب ، وهذا خطأ ؛ لأن ما ذهبوا إليه ليس من الصيام فى شىء ، ولكنه من ترك الاعتدال فى طعام الإفطار والسحور .

لقد ظهر أن الصيام يفيد فى حالات كثيرة ، وهو العلاج الوحيد فى أحوال أخرى ، وهو أهم علاج إن لم يكن العلاج الوحيد للوقاية من أمراض كثيرة منها : اضطرابات الأمعاء المزمنة المصحوبة بتخمر فى المواد الزلالية والنشوية ، وهنا ينجح الصيام وخصوصاً مع عدم شرب الماء بين الأكلتين ، وأن تكون بين الأكلة والأخرى مدة طويلة كما فى صيام رمضان .

كما أن الصيام مفيد فى علاج التهاب المفاصل المزمن ، والتهاب الكلى الحاد والمزمن والضغط المرتفع .

والصيام الذى كتب على المسلمين إنما كتب على الأصحاء .. وهذا صحيح ولكن فائدة الصيام للأصحاء هى الوقاية من هذه الأمراض ، بل إن الوقاية فعالة جدًّا قبل ظهور أعراض المرض بوضوح ، والصيام مدة شهر فى السنة هو خير وقاية من كل هذه الأمراض .

* * *

•• فضيلة الشيخ .. قال – صلى الله عليه وسلم – : « ما ملأ ابن آدم وعاءً قط شرًّا من بطنه .. فإن كان لا محالة فاعلًا .. فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لِنَفَسِهِ .. ما المعنى المراد من حديث الرسول الكريم ؟

• هذه الحكمة بالغة نطق بها طبيب القلوب والأبدان ، ومعالج الأرواح والأجساد محمد ﷺ .

وإذا كنا سنجلس أمام رمضان طبيباً ، فإنه طبيب للقلوب والأبدان والنفوس والأخلاق والمجتمع ، إلا أننا فى هذا المقام سنتعلم منه طب الأبدان على أن تكون لنا دعوة أخرى إن شاء الله تعالى .

إن الإسلام وهو يعالج الفرد راعى فى ذلك ثلاثة جوانب : الحس ، والعقل ، والقلب .

ومن الحقائق الثابتة أن البطنة بيت الداء ، وأن الحمية أصل الدواء .

ومن ثم تتبين لنا الحكمة البالغة عندما أهدى المقوقس عظيم مصر إلى الرسول ﷺ هدية كانت عبارة عن جاريتين هما : مارية وأختها سيرين ، وبعض العسل ، ودابة يركبها ، وطبيب يقوم على علاج الرسول ﷺ ، فقبل الرسول ﷺ الهدية ، وأسلمت مارية ، وولدت له إبراهيم وأهدى أختها سيرين إلى الصحابى الجليل حسان بن ثابت ، وشكر الطبيب ورده إلى المقوقس ، ولما سأله المقوقس : لماذا ردك محمد ؟ قال الطبيب : يا سيدى لقد أرسلتنى إلى رجل جمع الطب كله فى كلمتين : « نحن قوم لا نأكل إلا إذا جعنا ، وإذا أكلنا لا نشبع » .

• • هناك ظاهرة انتشرت بين الشباب ، ألا وهى المزاح بين الأصدقاء بما يسىء إليهم بإلقاء الشتائم والسباب .. وما إلى ذلك .. على سبيل الدعابة والمزاح .. فما تعليقكم على هذا الأمر ؟

• والله لقد حدد الرسول ﷺ هذا الموقف فى قوله : « إن الرجل يتكلم الكلمة من غضب الله لا يلقى لها بالاً يهوى بها فى النار سبعين خريفاً » ولذلك قال : أخوك .. لا تمازحه ، ولا تنحنى له ، ولا تلزمه ، ولكن صافحه ، ولذلك كان رسول الله ﷺ يمزح ولا يقول إلا حقًّا .. قالت له امرأة عجوز : يا رسول الله أترانى سيدخلنى الله الجنة ؟ فقال لها ﷺ : « إن الجنة لا يدخلها عجوز » فبكت ، فقال لها الرسول الكريم : إن الله تعالى يقول : ﴿ **إِنَّا أَنشأنَاهُنَّ إنشاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا عُرُبًا أترابًا لأَصْحَاب الْيَمِين** ﴾ .

•• فضيلة الشيخ .. ما الطريق إلى الجنة ؟! وهل البداية كلمة التوحيد « لا إله إلا الله » ؟ وما معيار الإيمان الحقيقى ؟

• إن كلمة التوحيد « لا إله إلا الله » .. هى جنسية كل مسلم ، وتحقيق شخصية ، كما أنها وطنه ، إذ إن الإسلام لا يعترف بالحدود ولا بالأسوار ولا بالحواجز .

ولست أدرى سوى الإسلام لى وطنا الشام فيه ووادى النيل سيان
وكلما ذكر اسم الله فى بلد عددت أرجاءه من لب أوطانى

وكلمة التوحيد هى عزة المسلم وكرامته وتحريره من جميع قيود العبودية لغير الله .

وفى التوحيد خلاص من عذاب النار ، وطريق إلى الخلود فى الجنة رضوان الله .

وفى الشرك يهوى الإنسان فى غياهب الظلمات ، ويضيع فى شتى المتاهات ، ويحيا دنياه ذليلاً ، وآخرته معذبًا مهينًا .

وإذا كان التوحيد هو الطريق إلى الجنة ، فليس ذلك بكلمات تلوكها الألسنة إنما هو حقيقة لها كيانها ، وقضية لها مفاهيمها :

« ليس الإيمان بالتمنى ، ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل » .

وقد سأل أبو هريرة رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ فقال له الرسول ﷺ : « من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه » .

ومعيار الإيمان الحقيقى يتمثل فى صدق القول ، وإخلاص العمل ، والثبات على المبدأ ، والتمرس بالشدائد ، والصمود للأحداث مهما عصفت ريحها ، وهاجت ثائرتها .

اسمع إلى هذا السؤال يلقيه الرسول ﷺ على أصحابه : « أمؤمنون

أنتم » ؟ قال عمر رضى الله عنه : نعم يا رسول الله ، قال الرسول الكريم : « فما حقيقة إيمانكم » ؟ قال الفاروق : نصبر على البلاء ، نرضى بالقضاء ، ونشكر فى الرخاء .

فأصدر سيد الخلق حكمه النافذ العميق قائلًا .. « مؤمنون ورب الكعبة » .

إن الإيمان لا يتفق مع الكذب ، ولا يقبل الخداع ، ولا يعرف الغش .

إن الإيمان الصحيح هو القدوة السليمة السوية ، وهذا هو القرآن الكريم يقول على لسان نبى الله شعيب ، وهو يخاطب قومه : ﴿ **وَمَا أُريد أن أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنهَاكُم عَنه إن أُريد إِلَّا الإِصْلَاح مَا اسْتَطَعتُ وَمَا توفِيقى إِلَّا باللَّه عَلَيْهِ تَوكَّلت وَإِلَيهِ أُنيب** ﴾ .

والإيمان يثمر ثمرته ، ويؤتى أكله إذا كان أساسه صدقًا فى القلب ، وتطبيقاً صحيحاً فى العمل .

* * *

●● وهل حقيقة أن سيدنا محمدًا ﷺ هو محرر العبيد من الرق ؟ [بعض المستشرقين ينكرون ذلك] .

● هذه حقيقة ثابتة لا يجادل فيها إلا مكابر ، ولا يمارى فى مضمونها إلا كل معتد أثيم .

وأولى بالذين يجادلون أن يجعلوا من مسألة الرق شبهة يثيرون غبارها على جلال الإسلام وجماله .. أولى بهم أن يردوا هذه الحقيقة إذا أرادوا الإنصاف ، وطلبوا وجه الحق .

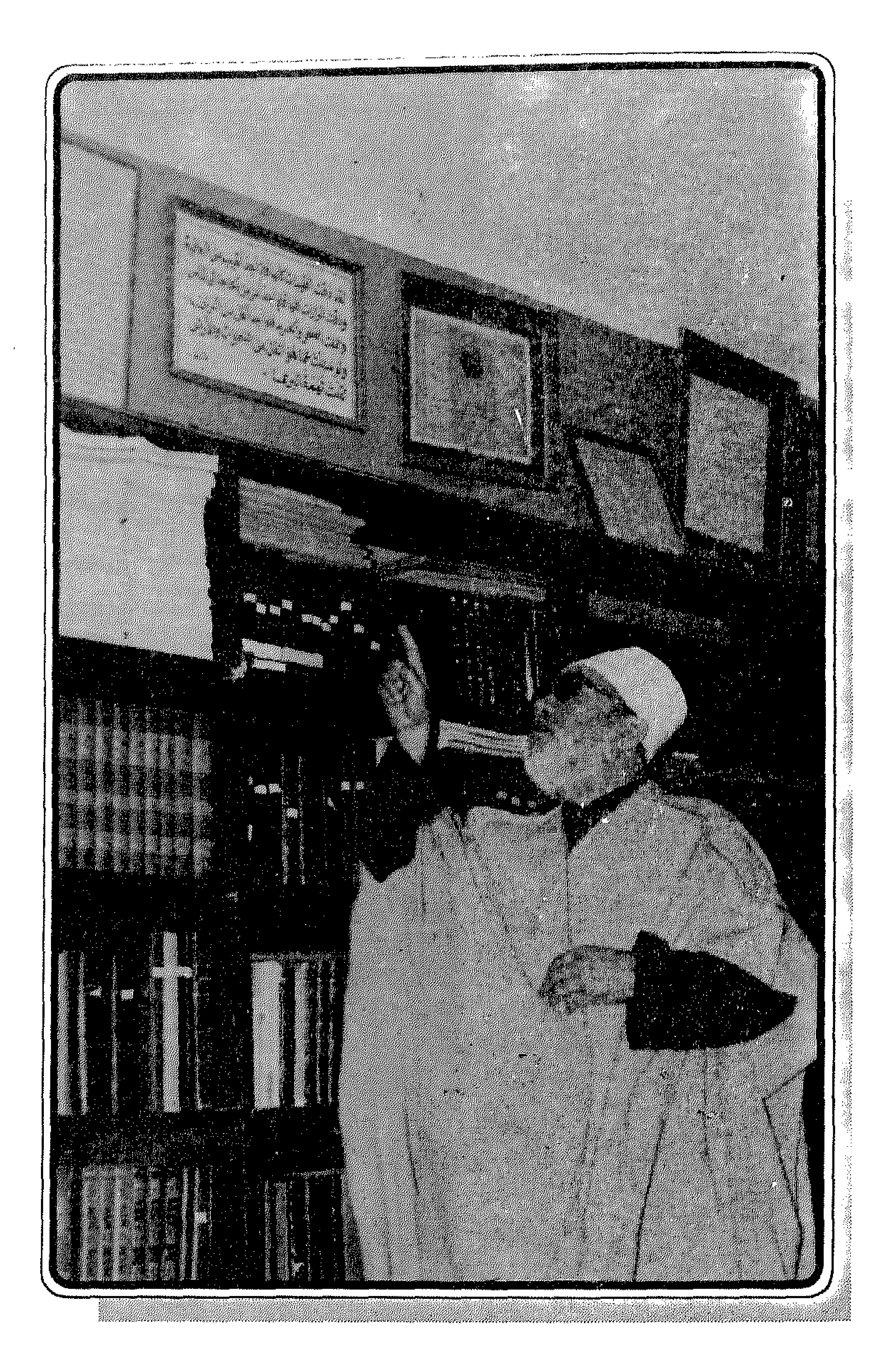
أولى بهم أن يقولوا : إن محمدًا ﷺ هو الذى جعل من العبيد سادة ، ومن المستضعفين موجهين وقادة .

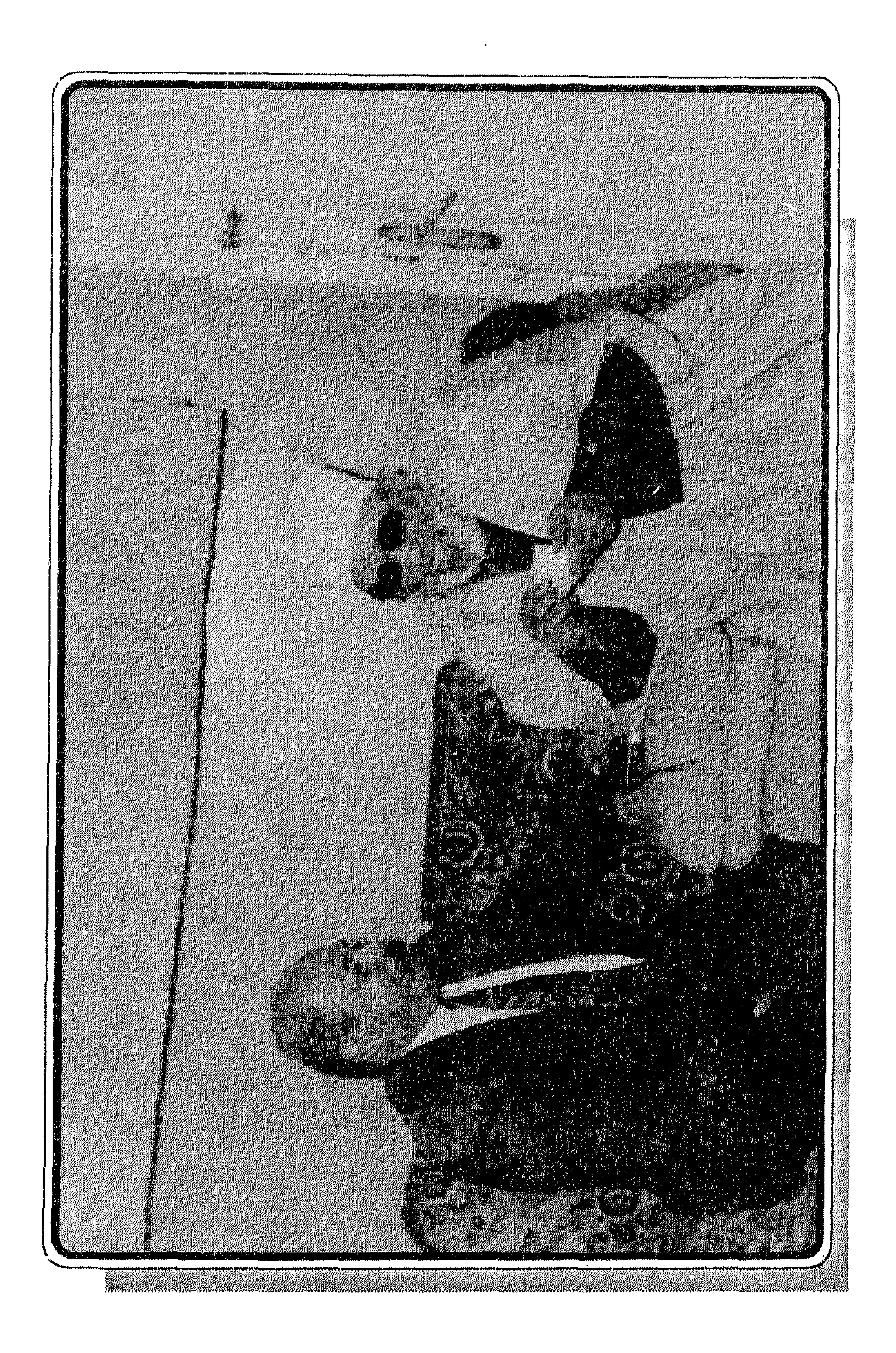
لقد كان مولده الشريف إيذانًا بأنه محرر العبيد ، فقد كانت أول رضعة ، وأول جرعة لبن نزلت جوفه الشريف من جارية لعمه « أبى لهب» تسمى « ثويبة » وكان من حسن الطالع أن هذه الجارية عندما ذهبت وأخبرت أبا لهب بمولد سيدنا محمد ﷺ فرح بهذا الخبر فرحاً عظيماً ، وكانت مكافأته عتقها ، فرحاً بهذا الخبر ، فصارت بسبب هذه البشرى حرة تستنشق نسيم الحياة الكريمة ، وكان مولده الشريف إيذاناً وإعلاماً بأن هذا المولود سيجعل من العبيد سادة ، ومن المستضعفين مفكرين وقادة .

وهناك أيضاً جارية أخرى .. إنها السيدة الجليلة « بركة الحبشية » المكنية « بأم أيمن » ، وكانت أَمَةً مملوكة للسيدة آمنة أم رسول الله ﷺ ، وقال لها سيدنا محمد بعد موت أُمه : أنت أمى بعد أمى ، وقد أسلمت بعدما دخلت خديجة - رضى الله عنها - فى الإسلام .

وكان لأم أيمن جهاد عظيم فى الإسلام ، فقد كانت تقوم بسقى الجيش ، وتداوى الجرحى فى القتال .. ومما حضرته من الغزوات : أُحد ، وخيبر ، ولما مات النبى ﷺ كانت أم أيمن تبكيه كلما ذكرته ، ولا ينقطع بكاؤها عليه .

وقد قال أبو بكر لعمر : انطلق بنا لنزور أم أيمن كما كان رسول الله ﷺ يزورها ، فلما دخلا عليها بكت ، فقالا لها : ما يبكيك فما عند الله خير لرسوله ؟ فقالت : أبكى لأن وحى السماء قد انقطع ، فجعلت تبكى ويبكيان معها . أرأيت إلى هذا الجلال ، وتلك العظمة فى هذه السيدة التى كانت مملوكة للرسول ﷺ فامتدت يداه الكريمتان ، فأهداها نعمة الحرية ، وجعل منها السيدة التى تكلم أبا بكر ووزير عدله عمر كلمة تجعلهما يبكيان ويذرفان الدمع على انقطاع الوحى بعد رسول الله ﷺ .





•• فضيلة الشيخ .. ماذا عن العدل فى الإسلام ؟

• العدل فى الإسلام عدل مطلق ، يستوى فيه الأصدقاء والأعداء ، **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوامِين للَّه شُهداء بِالْقسط وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنآن قَوم عَلَى ألا تَعْدِلُوا اعدلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوى وَاتَّـقُوا اللَّه إن اللَّه خَبِير بِـمَا تَعْمَلُونَ ﴾** .

وأنت ترى رسول الله ﷺ يغضب أشد الغضب ، ويحمر وجهه كأنه الشفق عندما تودعه الشمس الغابرة .

يغضب عندما يرى أُسامة بن زيد الحبيب ابن الحبيب يستشفع لامرأة مخزومية شريفة الأصل كانت قد سرقت ، ويقول له غاضباً معنفاً : أتشفع فى حد من حدود الله ؟! ثم يخطب فى الناس قائلاً : « إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه ، وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد ، وايم الله ، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » .

وهذا عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – يعلن فى سمع الزمان هذا المبدأ الخالد فيقول : (أيها الناس ، الضعيف فيكم قوى ، حتى آخذ الحق له ، والقوى فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه) .

وهل ينسى التاريخ هذا الموقف الإسلامى المشرف الذى وقفه الفاروق من عمرو بن العاص حين علم أن ابنه ضرب أحد أبناء الرعية ، وقال كلمته الخالدة : (يا عمرو ، متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا) .

أبعد هذا التكريم للبشرية يجرؤ أفاك أثيم على أن يرفع صوته بهذه الفرية التى تقول : إن الرق فى الإسلام يعتبر تهمة توجه ضده ، وهو لم يقرأ عن الإسلام شيئاً ، بل إنه يهرف بما لا يعرف ، وصدق الله حيث

يقول : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ .

وهذه المساواة فى الحقوق ليست بين المسلمين وحدهم ، بل بين المسلمين وغير المسلمين ، والأمثلة على ذلك أكثر من أن يحصيها العد .

* * *

●● كيف كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه مثلًا أعلى للعدل ؟

● رأى عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - شيخاً ضريرًا يسأل على باب ، فلما علم أنه يهودى قال له : ما ألجأك إلى ما أرى ؟ فأجابه : أسأل للجزية والحاجة والسن ، فأخذ عمر بيده ، وذهب به إلى منزله فأعطاه ما يكفيه ساعتها ، وأرسل إلى خازن بيت المال يقول : (انظر هذا وضرباءه فوالله ما أنصفناه إن أكلنا شبيبته ، ثم نخذله عند الهرم ، إنما الصدقات للفقراء والمساكين ، وهذا من مساكين أهل الكتاب ، ووضع عمر عنه الجزية وعن ضربائه ، ولم يشأ عمر أن يأكله شاباً ثم يخذله إذا كبر ، مع علمه بأنه يهودى لا يدين بدينه .

* * *

●● وماذا فعل « عمر » للمسلمين الذين قعدت بهم السن ؟

● إنه لا شك أجرى عليهم ما يكفيهم من بيت المال ، ولم يكتف عمر بحماية المسنين ، بل فرض لكل مولود مائة درهم من بيت المال ، ويحضرنى فى هذا المقام قصة لابد أن أسردها .

سمع عمر بكاء صبى ، وهو يتعسس بالليل ، لينقب عن الكروب المخبوءة ، فتوجه نحوه ، فقال لأمه : اتق الله ، وأحسنى إلى طفلك ، ثم

عاد إلى مكانه ، فلما كان آخر الليل سمع بكاءه ، فأتى أمه فقال لها : ويحك ، إنى أراك أم سوء ، ما لى أرى ابنك لا يقر منذ الليلة ؟

فأجابت قائلة : يا عبد الله ، لقد آلمتنى ، إنى أعوده الفطام فيأبى فسألها أمير المؤمنين قائلًا : ولم ؟ قالت : لأن عمر لا يفرض إلا للفطم ، قال عمر : وكم له من العمر ؟ قالت : كذا وكذا شهر ، فأجاب متعجباً : ويحك .. تعجلينه ؟

ثم صلى الفجر ، فلما سلم قال : يا بؤساً لعمر ، كم قتل من أولاد المسلمين ؟ ثم أمر مناديًا فنادى : لا تعجلوا صبيانكم عن الفطام ، فإنا نفرض لكل مولود فى الإسلام .

إذن فقد وسعت عدالة عمر الاجتماعية المتعطلين ، كما وسعت المسنين ، وفرض للأولاد من بيت مال المسلمين ، كما أمر بعلاج المرضى ، وأجرى القوت عليهم .

وهذه هى عدالة الإسلام متمثلة فى عمر ثانى الخلفاء الراشدين ، قامت بما لم تقم به أرقى الدول فى القرن العشرين .

* * *

●● وكيف ترى عَبْرَ التاريخ « أبا بكر الصديق » رضى الله عنه الآن ؟

● أراه « أبو بكر الصديق » يواجه انتفاضة الردة متسلحاً بسلاح العقيدة والصمود قائلًا : (والله لو منعونى عقال بعير كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه) .

ويخوض فى سبيل العقيدة معركة حياة أو موت ، غير مكترث بقوة العدو ورغم تعارض الآراء ، وغيبة الرسول ﷺ ، وإقلاع جيش « أسامة » عن المدينة ، ومع ذلك كله نرى الإصرار ، لقد كان

« الصدّيق » يعيش فى جو الآية الكريمة : ﴿وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلا﴾ .

●● وماذا عن خالد بن الوليد ؟

● خالد بن الوليد يخوض معارك شرسة وضارية ، ويقاتل كل الأمم من فرس وروم وعرب ، ولا يهن ولا يضعف ، ولا يتخوف بل يبارز الموت ويسعى إليه فى لهفة وشوق ، والموت يفر منه .

لقد رفض - وهو يحارب « طليحة الأسدى » زعيم المرتدين - أن يتراجع قليلًا إلى الوراء ليلوذ بجبال طيئ ، ويستعصم بها .

ولقد صاح قائلًا : كلا ، لا أعتصم بغير الله . إنه يتحدى الموت ، والموت لا يجرؤ على مواجهته .

إنهم رجال صنعهم الإيمان ، ففر منهم الموت ، وتهيب لقاءهم .

* * *

●● وكيف ترى الآن البراء بن معرور ؟

● لقد كان يتحدى الموت فى حرب مسيلمة الكذاب ، ويُصِرُّ على أن يلتقى به فيعمد إلى خطة انتحارية .. يشير إلى أصحابه أن يحملوه ويرفعوه على تروس من جلد ، ويقذفوا به من فوق حائط الحديقة التى لجأ إليها مسيلمة وجنوده خائفاً مذعوراً أمام جحافل الإيمان المنتفضة يقودهم خالد .

وحين يلقى بالبطل المؤمن ، يعالج - مع بعض رفاقه - فتح باب الحديقة من الداخل فى سرعة ومهارة ، فينفتح الباب ، لتنقض جموع من المسلمين من الخارج إلى داخل الحديقة ، فيعملون السيف فى مسيلمة وأتباعه ، فيأتون عليهم جميعاً .

وتلقب هذه الحديقة منذ هذا اليوم « بحديقة الموت » لكثرة القتلى داخلها ، ومن بينهم « مسيلمة الأفاك » حتى ليقال إن عدد القتلى بلغ ستين ألفاً .

* * *

• • وكيف ترى الشهيد عكرمة بن أبى جهل ؟

• إنه البطل الذى صنعه الإيمان من مفرق رأسه إلى أخمص قدمه .. يقف فى حرب الروم ، فى معركة « اليرموك » يقاتل بحماسة وإيمان مصرًّا على الموت فى سبيل الله ، ويرى بعض إخوانه يفرون من شدة القتال ، فينكر عليهم موقفهم المتخاذل ، ويتعاهد مع مجموعة من رفاقه على الثبات حتى الموت ، وقد مات عكرمة شهيداً ، وهو يدافع عن عقيدة الإيمان ، وكان يقول وهو مندفع إلى قلب المعركة : « لقد قاتلت رسول الله ﷺ من قبل فما فررت ، أأفر اليوم بعد أن شرح الله صدرى بالإيمان ؟ إنها لمهزلة . ويمضى فى كر متتابع الحملات ، وحركة منقطعة النظير يضرب فى رقاب العدو ، فيطيح بالرءوس والهامات ، ثم يخر فى النهاية شهيداً فى سبيل الله ، كما كان يؤمل .

* * *

• • وكيف ترى المسلم الشجاع ثابت بن قيس ؟

• إنه ثابت بن قيس الذى رئى فى حرب الردة ، وقد حفر لنفسه حفرة فى الرمل ، وثبت فيها بعد أن أهال التراب على ساقيه ، حتى يثبت فى موقعه ، ولا يفر حتى الموت .

كان يحمل كفنه وحنوطه على كتفيه حتى يلقى الله على الإيمان .. وقد رزق الشهادة فى هذا الموقف الجليل .

وهكذا نرى أن القوى المؤمنة المناضلة لا يرهبها الباطل ، لأنها فى حمى الله ، ولأنها أزهد النفوس كلها فى متاع الحياة .. وإذا رخصت النفوس فى محال البذل ، ذهب الخوف من القلب وحلت محله شجاعة ليس لها حدود .

* * *

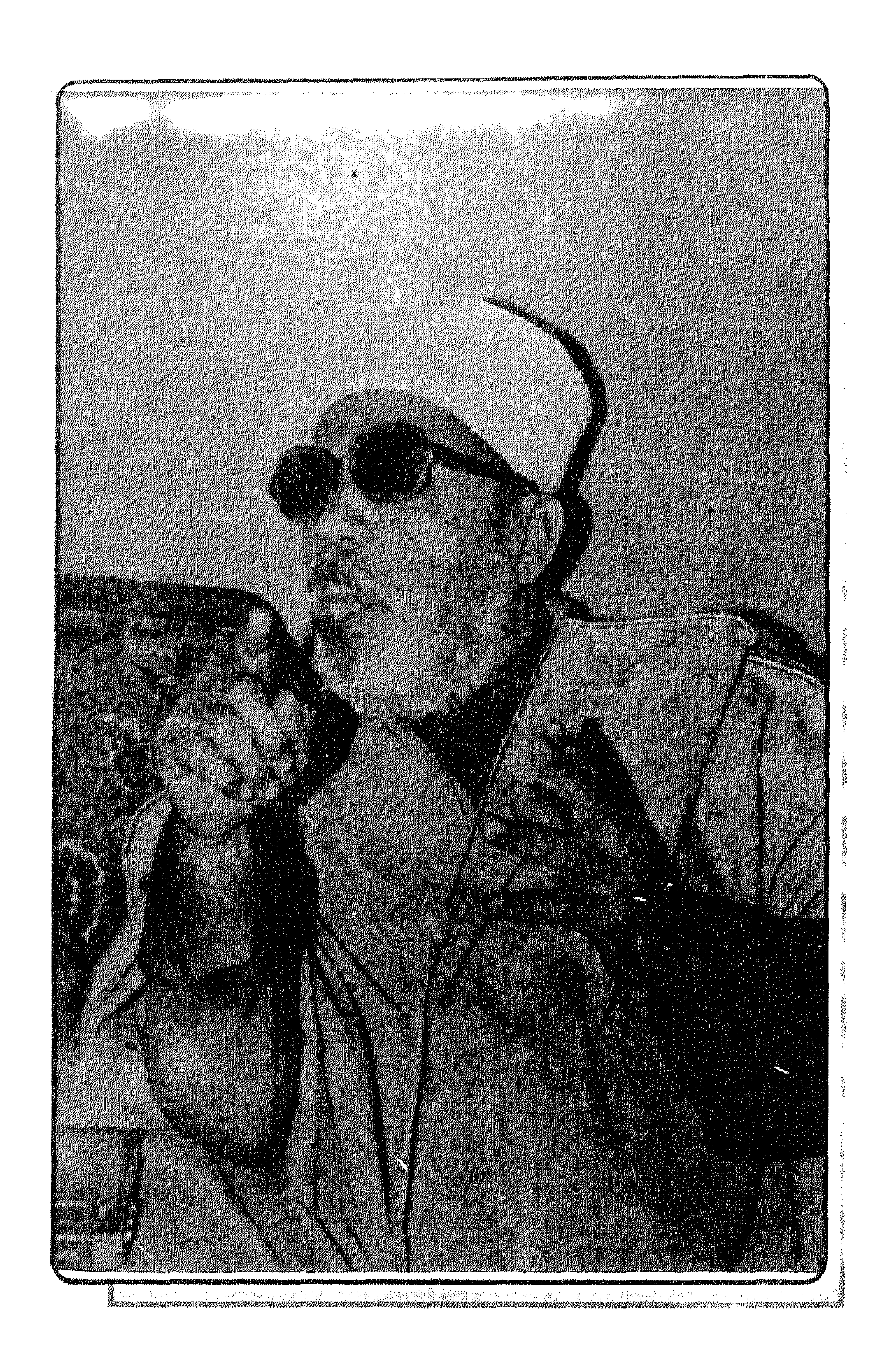
●● فضيلة الشيخ .. مما لا شك فيه أن ملامح البطولة الإسلامية لا حد لها ابتداءً من الخليفة الأول أبى بكر الصديق - رضى الله عنه - ، ومروراً بأبى الشهداء الحسين بن على ، وخالد بن الوليد ، وعقبة بن نافع وغيرهم من العظماء .. فكيف يرى الآن مرصد الشيخ كشلك القائد الجليل عقبة ابن نافع ؟

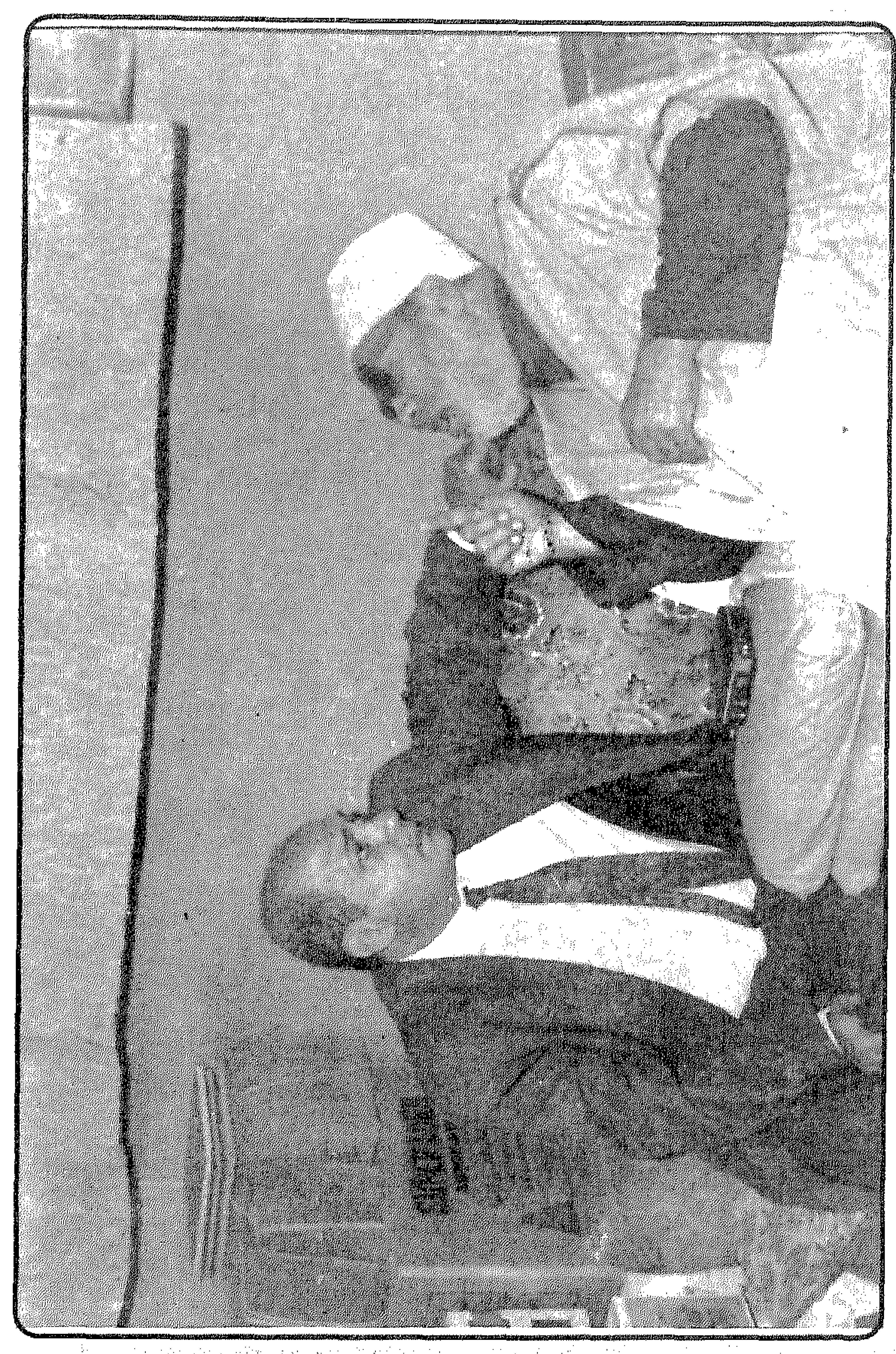
● يرحم الله ذلك البطل الجليل « عقبة بن نافع » الذى شب على الجهاد والتضحية والثبات على المبدأ ، وتربى فى مدرسة كان الله ناصرَها ، والرسول أستاذَها ، والقرآن العظيم منهجها ، والجهاد فى سبيل الحق أعز أُمنية لها .

وعقبة بن نافع رجل دخل التاريخ من أوسع أبوابه وأشرفها، فهو فاتح شمال أفريقيا ، ويسميه المؤرخون « قاهر أفريقيا » وقد بنى مدينة « القيروان » فى « تونس » .

وقد وقف ذلك البطل على فرسه ، على شاطئ المحيط الأطلسى يقول : « يا رب ، لو علمت أن وراء هذا البحر غزواً ، لخضته غازياً فى سبيلك » .

حقًّا إنه نموذج صادق من المؤمنين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه .





•• فضيلة الشيخ .. ما أنوار القرآن ، وبركات الأوقات ؟

• لِلَّه تعالى فى دهره نفحات على المؤمن أن يغتنمها ، ففيها الخير كله ، وللأزمان أوقات مباركة ، وفى تلك الأوقات نفحات يتجلى الله فيها برحمته ومغفرته على خلقه ، فيوم الجمعة خير يوم طلعت عليه الشمس ، ويوم عرفات خير أيام السنة ، وليلة القدر فى رمضان خير من ألف شهر .

وساعة الإجابة يوم الجمعة لا يسأل الله فيها العبد شيئاً إلا أعطاه إياه ما لم يسأل حراماً .

وكل هذه الأوقات وتلك النفحات إذا اقترنت بقراءة القرآن اجتمع نور القرآن وبركات تلك الأوقات ، فكان النور فيها مضاعفاً ، والخير لا حدود له .. ولن يضيع الإسلام أبداً مهما اشتدت به المحن ، إذ إن هناك قواعد لا يمكن أن يصيبها خلل مهما ادلهمت الخطوب .

أولى هذه القواعد : القرآن الكريم **﴿إِنَّا نَحْنُ نَزلنَا الذكر وإِنَّا لَهُ لَحَافظُونَ﴾** .

والقاعدة الثانية : صلاة الجمعة ، فيوم الجمعة كما قال تعالى : **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِى لِلصَّلاة مِن يَوْم الْجُمعة فَاسعَوا إِلَى ذِكْر اللَّه وَذَرُوا الْبَيع ذَلِكُم خَير لَكُم إِن كُنتُم تَعْلَمُونَ﴾** .

والقاعدة الثالثة التى لا تنتهى أبداً : اجتماع الناس فى المسجد الحرام أيام الحج والعمرة **﴿إِنَّ أَوَّل بَيْت وُضِعَ لِلنَّاس لَلَّذى بِبكة مُباركاً وَهُدًى لِلعَالَمِينَ فِيهِ آيات بَيِّنَات مَقَام إِبْرَاهِيم وَمن دَخلَه كَانَ آمنًا﴾** .

والقاعدة الرابعة من هذه القواعد : عرفات ، وما أدراك ما عرفات! ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود ..

إنه لمن فضل الله علينا أنه يعطى الجزيل من الأجر ، إذا ما استقبل المسلم نفحات الله فى أيام دهره .

* * *

•• وما جزاء المسلم إذا تلا فى هذه الأوقات سوراً من القرآن الكريم ؟

• يقول الصادق المصدوق فى هذا المقام مقالًا تنشرح له الصدور ، وتبتهج له القلوب .

فقد أخرج الترمذى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « من قرأ حم الدخان فى يوم الجمعة غفر له » .

وأخرج البيهقى فى الشعب عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من قرأ ليلة الجمعة حم الدخان ، ويس أصبح مغفوراً له » .

وأخرج الدارمى فى مسنده عن أبى سعيد الخدرى قال : « من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أضاء له من النور فيما بينه وبين البيت العتيق » .

وأخرج أبو عبيدة وابن الضريس فى فضائل القرآن عن أسماء بنت أبى بكر قالت : « من صلى الجمعة ، ثم قرأ بعدها (قل هو الله أحد) والمعوذتين ، والحمد سبعاً سبعاً ، حفظ من مجلسه ذلك إلى مثله » .

* * *

•• فضيلة الشيخ .. عندما يقرأ الإنسان القرآن الكريم يشعر بالراحة النفسية .. فهل حقًّا أن القرآن يشفى النفوس المتعبة ؟

• القرآن العظيم طبيب النفوس ودواؤها وعافية الأبدان وشفاؤها ،

ونور الأبصار وضياؤها ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاس قَدْ جَاءَتْكُم مَوعِظة مِن رَبّكُم وَشِفَاء لِـمَا فِي الصدُور وَهُدى وَرَحْمَةٌ لِلْـمُؤْمِنين** ﴾ ﴿ **وَنُنَزلُ مِن القُرآن مَا هُوَ شِفَاء وَرَحمَةٌ لِلْـمُؤْمِنين** ﴾ .

فمن الحقائق الثابتة أن الأمراض النفسية ، وما لها من تأثير وخيم وعواقب سيئة ، إنما يكون منشؤها القلق والاضطراب والانفعالات والغضب ، وهذه الأمراض كثيراً ما تكون سبباً فى الأمراض العضوية الخطيرة .

ولقد عالج القرآن الكريم هذه الأمراض ، وبيّن طرق الوقاية منها ، فركز على الإيمان بالقدر خيره وشره ، والتسليم لله فى كل ما يبتلى به العبد ، فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ **قُلْ لَن يُصِيبَنَا إلَّا مَا كَتَبَ اللّه لَنَا هُوَ مَولَانَا وَعَلَى اللَّه فليَتَوَكل الْـمُؤْمِنُونَ** ﴾ وقوله جل شأنه : ﴿ **إنَّا كُل شَىء خَلَقْنَاه بِقَدر** ﴾ .

وهكذا يتدرج القرآن مع العبد شيئاً فشيئاً حتى يبلغ به أعلى قمم المعرفة وأرفع ذرى الاعتقاد فى الله ، فيقف أمام أحداث الأيام صامداً ثابتاً ، ثبات الشُّمّ الرواسى ، والجبال الشوامخ ، لا تحركه القواصف ، ولا تؤثر فيه أشد العواصف .

لقد قرأت مؤخرًا بحثاً لطبيب مسلم تحت عنوان : (الإسلام والصحة النفسية) يقول فيه ما معناه : « من بديع صنع الله فى الإنسان ما أودع فيه من القوى النفسية والجسدية التى كانت مثار تفكير الباحثين من بدء الخليقة حتى يومنا هذا : كيف يفكر هذا الإنسان ؟وكيف يتحرك ؟ وكيف ينمو ؟ وكيف يصح ؟ ومهما وصل العلم من الكشف عن الأسرار الإلهية فى هذا المخلوق العجيب ، فإنه سيظل إلى أن تقوم الساعة محكوماً بهذه الآية الشريفة : ﴿ **وَمَا أُوتِيتُم مِن الْعِلم إلَّا**

قَلِيلًا ﴾ ، ومن هذا القليل الذى آتاه الله لخلقه ما تحدث فيه علماء النفس عن الآثار الجسدية للأمراض النفسية ، فلقد كان من الطبيعى فى الإنسان ، وقد امتزجت فيه القوى النفسية بالجسدية أتم الامتزاج أن يتأثر جسمه بنفسه والعكس ، فكلما كان هادئ النفس مسروراً ، بدت على جسمه آثار النشاط والقوة ، وإذا ما حزن أو غضب ارتسمت على بدنه مظاهر الضعف والاضطراب .

ويسمى علماء النفس المحدثون هذا الفن الذى يبحث فى الأمراض الجسدية الناشئة عن الحالات النفسية بالطب « السيكوسومانى » أى الطب النفسى الجسمى .

وقد كشف لنا الطب « السيكوسمانى » عن كثير من الأمراض الجسمية التى تحدث الانفعالات النفسية كالقلق والخوف والبغضاء والحقد والهم والكبت والشك والغيرة ، فأثبت أن الحزن الشديد وخاصة المفاجئ يتسبب فى تصلب الشرايين ، والجلطة الدموية ، والشلل وأمراض الدم مثل الضغط والسكر وغيرها .

* * *

•• وهل يكون علاج النفس بالتوبة ؟

• الإسلام شرع لنا التوبة ، وهى اعتراف صادق من العبد لربه بالأخطاء والذنوب ، ووثوق التائب بعفو الله ومغفرته يريح نفسه ، ويسكب عليها السكينة والاطمئنان ، فتهدأ نفسه وتزول عقده .

وإذا كانت الأمراض النفسية كثيرًا ما تنشأ عن القلق والخوف والبغضاء والحقد والكبت والشك والغيرة ، فإن الإسلام هو الدين الذى يعالج ما أصاب المرء من ذلك ، بل ويقيه من التردى فى هذه الآفات إن هو اتبع هواه .

فراحة النفس فى هدى الإسلام ، ومن هدى الإسلام : الرضا بالقضاء والقدر ، والاطمئنان والثقة بوعد الله ، والاعتقاد بأن ما أصاب المسلم لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه ، فأنى يجد القلق والخوف والهم سبيلا إلى نفسه ؟ وكيف يتمكن الحقد من قلبه وهو لا يكمل إيمانه حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ؟

ولا شك أن المسلم بممارسته لألوان العبادات ، واتصاله الدائم بالله ، لا تتعقد نفسه ، ولا تضطرب أعصابه ، وهذه حقيقة اعترف بها علماء النفس الأجانب أنفسهم ، فقد قال الدكتور « بريل » : إن المرء المتدين حقًّا لا يعانى - قطُّ - مرضًا نفسيًّا .

وقال « ديل كارنيجى » : إن أطباء النفس يدركون أن الإيمان القوى يقهر القلق والتوتر العصبى .

والصلاة - كذلك - فى حقيقة الأمر علاج للأمراض كلها ، ولقد كان الرسول - صلوات الله عليه - إذا حز به أمر فزع إلى الصلاة ، وكان يقول لمؤذنه بلال : « أرحنا بها يا بلال » . فهو إذن خير علاج من كل الأمراض النفسية والعصبية ، ولذلك اعترف بفضلها كبار المتخصصين فى الدراسات النفسية .

ولقد قال « الكسيس كاريل » : لقد رأيت - بوصفى طبيباً - كثيرًا من المرضى فشلت العقاقير فى علاجهم ، فلما رفع الطب يديه عجزًا وتسليماً ، تدخلت الصلاة فأبرأتهم من عللهم ؟

ومن أجمل ما فى الإسلام أنه يربط المسلم بالقوة العظمى المسيطرة على هذا الكون .

وأشهد أن القرآن الكريم جليس لا يمل حديثه ، لا سيما فى أوقات الشدائد ، عندما تستشعر النفس أن الأرض قد ضاقت بما رحبت ،

وكيف لا يكون القرآن الكريم تفريجاً للكروب ، وأهل القرآن هم أهل الله وخاصته ؟! ودليل ذلك قوله ﷺ : « إن لله أهلين من الناس » قالوا : من هم يا رسول الله ؟ قال : « أهل القرآن هم أهل الله وخاصته » .

* * *

•• وما علاج الغضب على هدى السنة المحمدية ؟

• من العلاج الذى جاءت به السنة المطهرة لحالة الغضب أن يغير الغاضب من وضعه ، فإن كان قائماً قعد ، وإن كان جالساً اتكأ ، والاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم .

قال ﷺ : « إن الغضب جمرة توقد فى القلب ، ألم تروا إلى انتفاخ أوداجه وحمرة عينيه ؟ فإذا وجد أحدكم من ذلك شيئاً فإن كان قائماً فليجلس ، وإن كان جالساً فليقم - أو كما يقول ﷺ فإن لم يزل ذلك من نفسه ، فليتوضأ بالماء البارد ، أو يغتسل ، فإن النار لا يطفئها إلا الماء » .

ومن العلاج العملى الذى مارسه رسول الله ﷺ مع أصحابه قصة أبى أُمامة الباهلى رضى الله عنه ، فقد روى أبو سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ دخل المسجد ذات يوم ، فإذا برجل من الأنصار يقال له : أبو أُمامة ، فقال : يا أبا أمامة ، ما لى أراك جالساً فى المسجد فى غير وقت الصلاة ؟ فقال : هموم لزمتنى وديون يا رسول الله ، قال : أفلا أعلمك كلاماً إذا قلته أذهب الله همك ، وقضى عنك دَيْنك ؟ قلت : بلى يا رسول الله ، قال : « قل إذَا اصبحت وإذا أمسيت : اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن ، وأعوذ بك من العجز والكسل ، وأعوذ بك

من الجبن والبخل ، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال » ففعلت ، فأذهب الله همى ، وقضى دَيْنِي .

ولا شك أن العزلة وما صاحبها من همّ وحزن من الحالات النفسية التى تترك أثرها السيئ فى الجسم من الكآبة والانقباض وهزال الجسم وضعفه ، فكان العلاج لذلك : أن سقاه رسول الله ﷺ جرعة من الأمل والعزم والنشاط ، أوصلته بالقوة العليا التى لا يخيب من توجه إليها ، ولا ييأس من ناجاها ، ولا يحزن من لجأ إليه ، فذلك اللجوء إلى الله - وهو القادر على كل شيء - يعطى المؤمن المزيد من الثقة والرجاء فى الله ، حتى يوقن أن الله سينجده ويخرجه مما تردى فيه .

* * *

•• وما موقف الإسلام من هذا النوع المهم فى الطب ؟

• إنه يحث عليه ، ويدعو المسلم إلى البحث فيه ؛ لأنه يعتبره مسئولًا عن تطوير الحياة فى كل الميادين بما لا يخالف نصًّا فى الكتاب والسنة ، وقد حثنا الله - سبحانه وتعالى - على البحث فى النفس بقوله : ﴿ **وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ** ﴾ .

وليس ذلك محدوداً بعصر دون عصر ، ولا مقصوراً على مجال دون مجال ، بل يشمل البحث عن النفس فى أمراضها والوقاية منها وعلاجها وهدايتها وإرشادها ، والسمو بها إلى أوج الرفعة والكمال .

ولا أكون مبالغاً إذا قلت : إن ما ورد فى الكتاب والسنة من علاج للنفس هو أغزر وأعمق وأصح من كل ما ورد فى أبحاث علماء النفس من بدء الخليقة حتى يومنا هذا .

فقد جاء القرآن الكريم يوضح لنا العلاقة بين الحالة النفسية والمرض

الجسمى ، فيذكر عن يعقوب عليه السلام أنه لما فقد ابنه يوسف عليه السلام حزن حزناً شديدًا حتى فقد بصره ، فقال تعالى : ﴿ **وَتَوَلَّى عَنْهُم وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسفَ وابيَضتْ عَينَاهُ مِن الْحُزنِ فَهُوَ كَظِيم** ﴾ ، ولما أن جاءته البشرى بولده ، وفرح الفرح الشديد أبصر فى الحال ، قال تعالى : ﴿ **فَلَمَّا أن جَاءَ البَشِير ألقاهُ عَلى وَجهِهِ فارتَدَّ بَصِيرًا** ﴾ .

وكذلك جاء وصف الرسول ﷺ للغضبان بما يوضح الأثر الجسمى لذلك الانفعال أدق توضيح : من حمرة فى العينين ، والوجه ، وانتفاخ فى الأوداج ، وتغيير للهيئة .

وإذا كان هذا هو الأثر الجسمى ، فهناك آثار أخرى للغضب تظهر فى تصرفات الغضبان كعدم الفهم والتعقل حتى يبلغ الغاضب فى تصرفه أحياناً مبلغ المجنون الذى لا يدرى ما يأتى وما يذر .

من أجل ذلك نهى رسول الله ﷺ عن الحكم بين الناس فى حال الغضب ، فقال : « لا يقضى القاضى حين يقضى وهو غضبان » .

* * *

•• فضيلة الشيخ .. كثيرًا ما يشكو الإنسان نسيانه للقرآن الكريم .. ما العلاج ؟

• نعم كثيرًا ما يشكو بعض الناس من نسيانهم للقرآن ، وهو لا شك شىء شديد الأسف ، وإننا إذْ نصف هذا الداء يسرنا أن نقدم له الدواء من صيدلية رسول الله ﷺ ، ففيها الشفاء لكل داء ، إذ إنها تستمد دواءها من كتاب كريم هو كتاب الله العلى العظيم .

أخرج الترمذى والحاكم والبيهقى فى الدعوات عن ابن عباس

رضى الله عنهما أن عليًا - رضى الله عنه - قال لرسول الله ﷺ : تفلَّتَ هذا القرآن من صدرى فما أجدنى أقدر عليه ، فقال : ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن ، وتنفع بهن من علمته ، ويثبت ما تعلمت فى صدرك ؟ « إذا كان ليلة الجمعة ، فإن استطعت أن تقوم فى ثلث الليل الأخير فإنها ساعة مشهودة والدعاء فيها مستجاب ، وقد قال أخى يعقوب لبنيه سوف أستغفر لكم ربى ، بقول حتى يأتى ليلة الجمعة ، فإن لم تستطع فقم فى وسطها ، فإن لم تستطع فقم فى أولها ، فصل أربع ركعات ، تقرأ فى الركعة الأولى بفاتحة الكتاب وسورة يس ، وفى الثانية بفاتحة الكتاب وحم الدخان ، وفى الركعة الثالثة بفاتحة الكتاب والم تنزيل السجدة ، وفى الركعة الرابعة بفاتحة الكتاب وتبارك المفصل ﴿ تَبَارَكَ الَّذِى بِيَدِهِ الْمُلْكُ ﴾ ، فإذا فرغت من التشهد فاحمد الله ، وأحسن الثناء على الله ، وصل علىَّ وعلى سائر النبيين ، واستغفر للمؤمنين والمؤمنات ولإخوانك الذين سبقوك بالإيمان ، وقل فى آخر ذلك : اللهم ارحمنى بترك المعاصى أبدًا ما أبقيتنى ، وارحمنى أن أتكلف ما لا يعنينى ، وارزقنى حسن النظر فيما يرضيك عنى ، اللهم بديع السموات والأرض ، ذا الجلال والإكرام والعزة التى لا ترام ، أسألك يا رحمن بجلالك ونور وجهك أن تلزم قلبى حفظ كتابك كما علمتنى ، وارزقنى أن أتلوه على النحو الذى يرضيك عنى .. اللهم بديع السموات والأرض ذا الجلال والإكرام والعزة التى لا ترام ، أسألك يا الله يا رحمن بجلالك ونور وجهك أن تنور بكتابك بصرى ، وأن تطلق به لسانى ، وأن تفرج به عن قلبى ، وتشرح به صدرى ، وأن تحمى به بدنى ، فإنه لا يُعِيننى على الحق إلا أنت ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم » تفعل ذلك ثلاث جُمع أو خمساً أو سبعاً بإذن الله تعالى ، والذى بعثنى بالحق ما أخطأ مؤمن قط .

قال ابن عباس رضى الله عنهما : فوالله ما لبث علىّ إلا خمساً أو سبعاً حتى جاء رسول الله ﷺ فى مثل ذلك المجلس فقال : يا رسول الله ، إنى كنت فيما خلا لا آخذ إلا أربع آيات ونحوهن ، فإذا قرأتهن على نفسى تفلتن ، وأنا أتعلم اليوم أربعين آية ونحوها ، فإذا قرأتها على نفسى ، فكأنما كتاب الله بين عينى ، ولقد كنت أسمع الحديث فإذا أرددته تفلت ، وأنا اليوم أسمع الأحاديث ، فإذا تحدثت بها لم أنس منها حرفاً ، فقال له رسول الله ﷺ عند ذلك : « مؤمن ورب الكعبة » .

فعليك يا أخي باستذكار القرآن ، حتى تلقى الله وهو على صدرك ، فيكون لك شفيعاً .

* * *

●● كثر الحديث عن الشفاء بعسل النحل .. فما حقيقة ذلك ؟

● يقول عز من قائل : ﴿ **يَخرج مِن بُطونِها شَراب مُختلفٌ ألْوانهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاس** ﴾ .

فاعلم أن هذا المشهد القرآنى الذى نحن بصدده – من أول قوله تعالى ﴿ **وَإن لَكُمْ فِي الأنْعَام لَعِبرة** ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ **يَخرج مِن بُطونِها شَراب مُختلفٌ ألْوانُـهُ** ﴾ اشتمل على ثلاثة أنواع من الأغذية :

أولها : غذاء حيوانى وهو اللبن .

ثانيها : غذاء نباتى وهو المتمثل فى قوله تعالى : ﴿ **وَمِن ثَمراتِ النَّخِيل والأعْنَاب تَتَّخِذُونَ مِنه سَكَرًا ورزقًا حسنا إن فِي ذَلِكَ لآية لِقَوْم يَعْقِلُونَ** ﴾ .

ثالثها : أنواع من الأغذية : غذاء حشرى وهو عسل النحل ، فماذا يقول الطب فى هذا الأخير ؟

إن عسل النحل فوق كونه غذاء ، فإنه أيضاً فيه شفاء ، وأهم ما فى العسل : نوعا السكر المذكوران ، وهذان النوعان لا يحتاجان لهضم كسكر القصب ، بل يمران من القناة الهضمية إلى الدم بدون تغير ، وهذه ميزة كبرى لعسل النحل .

وقد أثبت الطب الحديث أن فى عسل النحل شفاء من الكثير من الأمراض .

* * *

●● فضيلة الشيخ .. ما الحقائق العلمية فى كيفية بناء النحل لبيوته ؟

● إن مملكة النحل عجيبة الصنع ، محكمة الإتقان ، ولقد أراد الله - سبحانه وتعالى - توجيه نظر العباد إلى بيوت النحل التى تعتبر أحسن مثل لهندسة المبانى وتعاون أفراد النحل .. فيقول عز من قائل فى سورة النحل : ﴿ **وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحلِ أن اتخذِى مِن الْـجِبَال بيوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ** ﴾ .

وقد أثبت التاريخ أن النحل اتخذ بيوته فى الجبال أولًا ، ثم فى الأشجار ثانياً ، ثم فى الأعراش والخلايا بعد ذلك .

خبرنى بربك فى أى الجامعات تخرجت هذه المخلوقات العجيبة ؟! وفى أى أقسام المعمار تخرج عباقرة المهندسين فى النحل ؟! وعلى أى الأساتذة درسوا علم التفاضل والتكامل ليخرجوا لنا أعظم إنتاج بأقل تكاليف لازمة ؟ ومن الذى ألهمهم إلهام الغريزة أن يشيدوا تلك البيوت العجيبة : أهى الطبيعة الصماء أم الصدفة العمياء ؟

والله ما هذا ولا ذاك ، وإنما هو الله العزيز الحكيم : ﴿ **وَأَوْحَى رَبّكَ إلى النَّحل أن اتخذِى مِن الجِبَال بيوتاً وَمِن الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعرِشُونَ** ﴾ .

يقولون : أين الله ، أين عجائبُه ؟ وذا الكون سِفْرٌ ناطق وهو كاتبه !
يشكون والإيمان ملء قلوبهم ويُبدون ما كل العقول تكذّبه !
عجائب ربى فى الأنام كثيرة ولكن جهل المرء - لا شك - غالبه

إن بيوت النحل إنما هى مصانع من طراز « كن فيكون » أبدعتها يد القدرة لتكون آية لقوم يتفكرون .

* * *

●● فضيلة الشيخ .. من الدعاوى التى يشنها المستشرقون وأذنابهم من المستغربين ، ومن سار فى فلكهم من ضعاف العقول والمخدوعين منهم زعمهم أن الاقتصار على القرآن يكفى دون الاحتياج إلى السنة .. فما جاء فى القرآن اتبعناه ، وليس بنا حاجة إلى اتباع ما جاءت به السنة - على حد زعمهم - فما الرد على أصحاب تلك الدعاوى الباطلة ؟

● المقصود بالسنة هو كل ما جاء عن رسول الله ﷺ من قول أو فعل أو تقرير ، وهؤلاء الذين ينادون بهذه الدعوى المسمومة لهم من ورائها غرض وهدف ، ذلك أنهم عجزوا وخابت حيلهم فى أن يوجهوا أى طعن إلى القرآن العظيم ، وهو الأصل الأول فى التشريع ، فأرادوا أن ينثروا التراب على السنة المطهرة .

والواقع أن مثل هؤلاء كمثل قوم أرادوا أن يثيروا التراب على السماء ، فأثاروه على أنفسهم ، وبقيت السماء هى السماء .. وقد بلغ من جرأة هؤلاء أنهم تطاولوا على أصحاب الرسول ﷺ الذين اختارهم الله لصحبته ، والذين حذر الرسول ﷺ من التطاول عليهم ، فقال :

« الله الله فى أصحابى » ، وقال : « لو أنفق أحدكم مثل أُحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم أو نصيفه » .

إن دعوى هؤلاء فى عدم الأخذ بالسنة ظاهر البطلان ، بل إن بطلانها من بداءة الأمور ، ماذا يقولون فى قوله تعالى وهو يخاطب الرسول ﷺ : ﴿ وأنزلنا إلَيْكَ الذِّكر لِتُبين لِلنَّاس مَا نُزلَ إليْهِمْ ﴾ وهل يكون التبيين إلا بالسنة ؟

وماذا يقولون فى قوله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرسُول فخُذوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتهُوا ﴾ .

وماذا يقولون فى الآيات التى قرنت طاعة الله بطاعة رسوله ﷺ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّه وَأَطِيعُوا الرَّسُول ﴾ ﴿ مَن يُطِع الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾

وماذا يقولون فى هذه الآية الكريمة التى جعلت محبة الله متوقفة على اتباع رسوله وهى قوله تعالى : ﴿ قُلْ إن كُنتُم تُحِبونَ اللَّه فَاتَّبِعُونِى يُحبِبكُمُ الله ﴾ كيف يتبعونه وقد عطلوا سنته ؟

* * *

•• فضيلة الشيخ .. الإفتاء مسئولية كبيرة فى الإسلام فمن له حق الفتوى الآن ؟

• الفتوى فى الإسلام مسئولية كبرى ، لأن المفتى إنما يوقّع عن الله تبارك وتعالى ، فهو فى فتواه يجب أن يكون صريحاً فى الحق ، قويًّا لا يخشى فى الله لومة لائم ، كما يجب أن يصدر عن علم ودراية بالكتاب والسنة ، وكيف لا ، وقد ورد فى سنن أبى داود من حديث مسلم بن يسار ، قال : سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ:

« من قال عليّ ما لم أقل فليتبوأ بيتاً فى جهنم ، ومن أفتى بغير علم ، فعمل بفتواه كان إثمه على من أفتاه ، ومن أشار على أخيه بأمر يعلم الرشد فى غيره فقد خانه » .

وعن على – رضى الله عنه – عن النبى ﷺ قال : « من أفتى بغير علم لعنته ملائكة السموات والأرض » .

وبعد .. فقد ظهر أمامنا جليًا ما للفتوى من أثر عظيم ، ولقد حملها بعد الصحابة كثير من التابعين لا يكاد يحصى عددهم .

فعليك أيها الأخ المسلم أن تقف على حقيقة دينك ، فدينك لحمك ، دمك ، « ومن يرد الله به خيرًا يفقهه فى الدين » .

فاللهم فقهنا فى ديننا ، وزهدنا فى دنيانا ، وبصرنا بعيوبنا آمين .

* * *

• فضيلة الشيخ .. كلنا يعلم كيف أن الإسلام غلظ عقوبة قتل النفس بغير الحق ، فما حكم قتل النفس المؤمنة ؟

• فى الواقع أنه لا يوجد سبب فى منطق الإسلام يمكن أن يفوق ما بين المسلم والمسلم من وشيجة العقيدة ، ومن ثم لا يقتل المسلم مسلماً أبداً وقد ربطت بينهما هذه الرابطة الوثيقة اللهم إلا أن لا يكون ذلك خطأ .

وللقتل الخطأ توضع التشريعات والأحكام ، أما القتل العمد فلا كفارة له ؛ لأنه وراء الحسبان ووراء حدود الإسلام ﴿ **وما كان لمؤمن أن يَقتل مؤمناً إلا خَطأً** ﴾ فهذا هو الاحتمال فى الحس الإسلامى .

﴿ **وَمَنْ يَقْتلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤه جَهَنَّم خَالداً فيها وغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْه وَلَعَنَهُ وأعدّ له عذاباً عظيماً** ﴾ .

إنها جريمة قتل لا لنفس فحسب بغير حق ولكنها كذلك جريمة قتل للوشيجة العظيمة التى أنشأها الله بين المسلم والمسلم .

* * *

• • فضيلة الشيخ .. ما التقوى ؟ وأين مكانها ؟

• يجيب عن هذا السؤال الإمام على – رضى الله عنه – فيقول : التقوى هى الخوف من الجليل ، والعمل بالتنزيل ، والرضا بالقليل ، والاستعداد ليوم الرحيل .

أما مكانها ، فقد ورد فى الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال : « التقوى ها هنا ..» مشيراً إلى صدره الشريف .

إذن فهناك مناسبة وطيدة بين الإيمان والتقوى ، فالإيمان تصديق بالقلب . وتقول آيات الكتاب العزيز : ﴿ **أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإيمان** ﴾ ﴿ **وَقَلْبُهُ مُطْمَئِن بالإِيمَان** ﴾ . والتقوى هى الركيزة الحقيقية للأخلاق ..

إذا المرء لم يلبسْ ثياباً من التُّقى　　تقلب عُرْياناً ولو كان كاسياً

* * *

• • ماذا بين المعجزة والسحر ؟

• شتان ثم شتان ما بين المعجزة والسحر ، ذلك لأن المعجزة حقيقية مبنية على واقع لا مراء فيه ولا يأس ولا غموض ولا اشتباه ، إذ هى آية من آيات الله المبينة ، وبرهان من براهينه الساطعة ، إنها أمر خارق للعادة ، يظهره الله على يد الأنبياء تصديقاً لهم ، مع عجز جميع الخلق عن الإتيان بمثله .

وأما السحر فإنه يصرف الأشياء عن حقيقتها . قال تعالى :
﴿ فأنَّى تُسْحَرُون ﴾ أى فكيف تصرفون عن الحق .
يقال « سحرهُ » إذا صرفه عن الحقيقة .

ولذا فإن السحر مبنى على تخيلات فى الحواس ، أو أوهام فى العقل ، قال تعالى : **﴿ قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إن الله سَيُبْطِلُهُ إنَّ الله لا يُصْلح عَملَ المفْسِدِين ﴾** .

وقال جل شأنه : **﴿ إنَّمَا صَنَعُوا كَيد سَاحِرٍ ولا يُفْلحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴾** .

ومن هنا فقد كان السحر كبيرةً بل من أكبر الكبائر .
قَال - صلى الله عليه وسلم - : « من سحر فقد كفر » .

* * *

• • فضيلة الشيخ .. كيف يمحو المسلم من خطاياه ، ويرفع من درجاته أمام المولى عز وجل ؟

• اعلم أيها المسلم أن الذنوب كثيرة ، ومثلها كمثل الأمراض ، وأن باب التوبة مفتوح ، ومثلها كمثل الدواء .

إذن فهناك داء ، وهناك دواء ، قال تعالى : **﴿ إنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّر عَنْكُمْ سَيّئَاتِكُم وَنُدْخِلْكم مُدْخَلًا كَرِيماً ﴾**

وقال تعالى : **﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أو يَظْلم نَفْسَه ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجد اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً ﴾**

فكل هذه إشارات على طريق الأمل فى الله ،وكلها أضواء تنير السبيل ، وتمحو ظلمات اليأس .

وهاهو ذا نبى الرحمة يبين لنا الدواء الناجع الذى يمحو الله به الخطايا ويرفع الدرجات .

فعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات ؟! قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخُطَا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط ، فذلكم الرباط ، فذلكم الرباط » .

* * *

• • ما معنى قوله تعالى : ﴿ لا تيأسوا منْ رَوْحِ الله ﴾ ؟

• المراد بروح الله رحمته التى وسعت كل شىء ، فَرِضاه خير من الدنيا وما فيها .

فالمؤمن الحق هو الذى لا يعرف اليأس إلى قلبه سبيلاً **﴿ إنَّه لَا يَيْأَسُ مِن رَوْحِ اللَّهِ إلَّا القَوم الكَافِرونَ ﴾** .

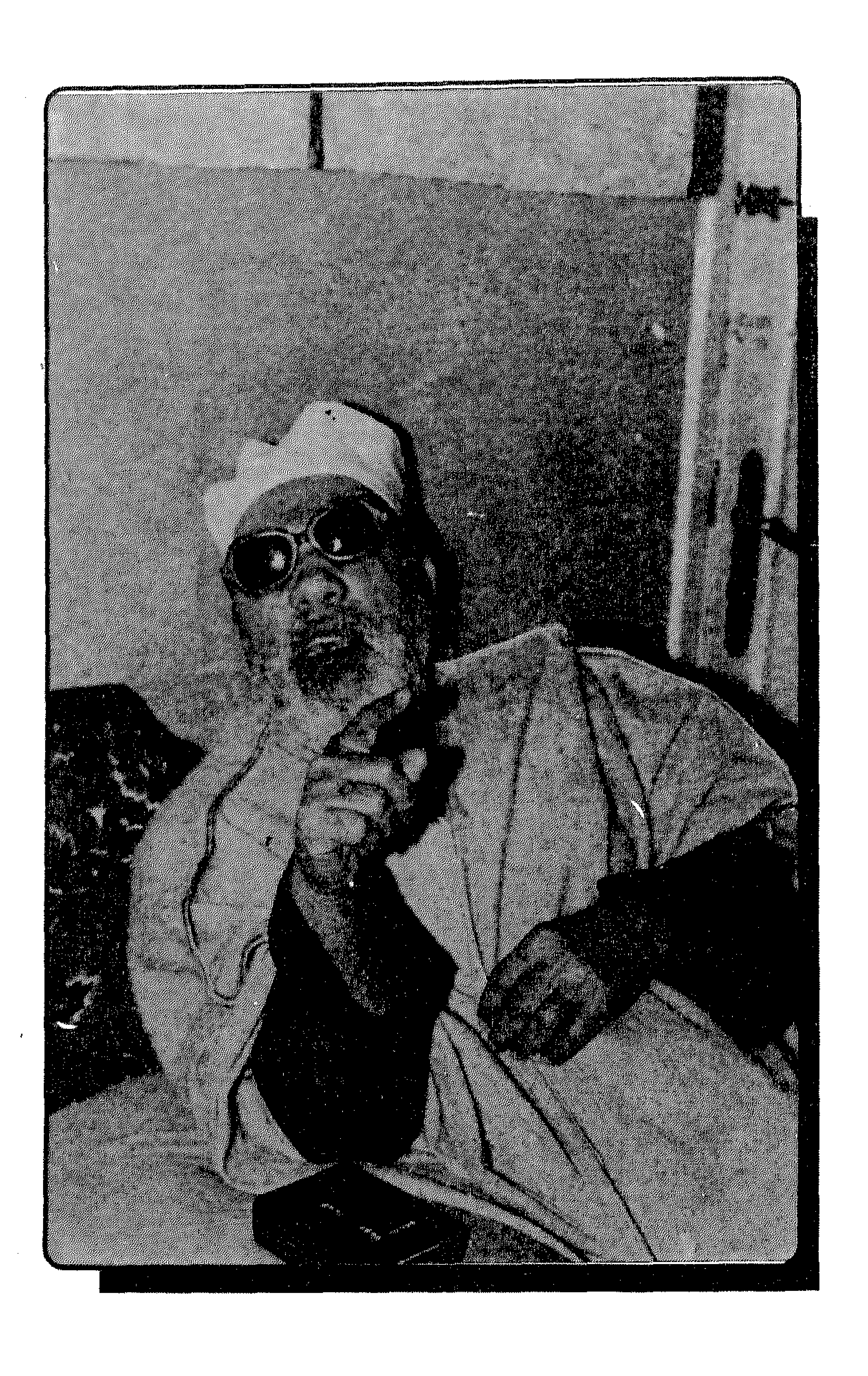
يقول تعالى فى حديثه القدسى الجليل « **عبدى أطعتنا فقربناك ، وعصيتنا فأمهلناك ، ولو عدت إلينا بعد ذلك قبلناك** » .

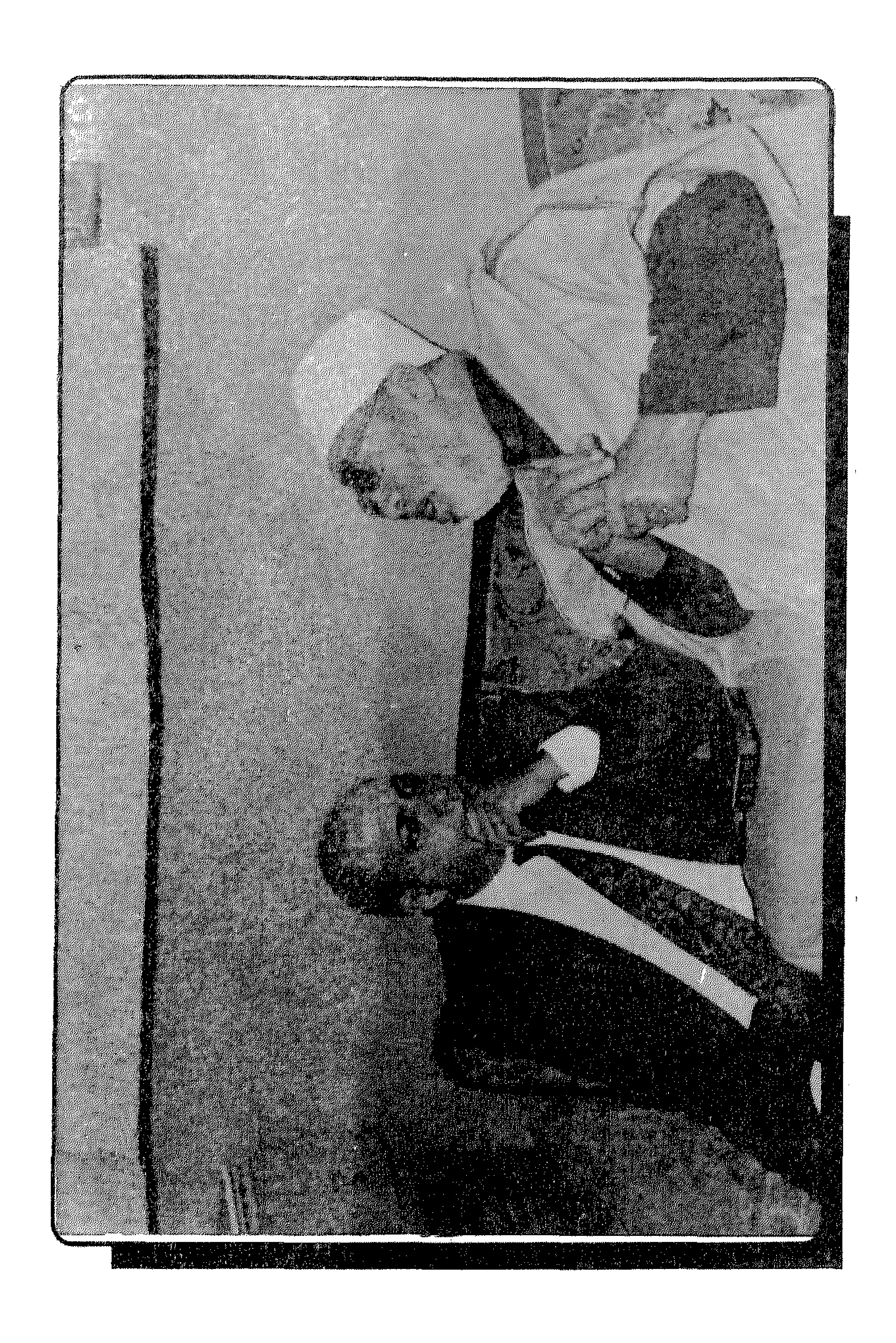
والأمل فى الله نور يضىء قلوب المخلصين ودعاء العبدِ ربَّه أملٌ يملأ النفس طمأنينةً وسكينةً ورجاءً .

فإذا رُميتَ من الزمان بشدة وأصابك الأمر الأشقُّ الأصعبُ
فاضرعْ لربك إنه أدنى لمن يدعوه من حبل الوريد وأقربُ

* * *







• • فضيلة الشيخ .. يقال : إنه عندما يموت الإنسان ، فإنه يدخل عالم البرزخ ، فما عالم البرزخ ؟

• ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُم إنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَىء عَظِيم يَوم تَرَوْنَها تَذْهَلُ كلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أرضعت وَتَضعُ كل ذَات حَمل حملها وَتَرى النَّاس سُكَارى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى ولكنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيد ﴾

إن القبر أولى درجات الأخرة ، فعندما يموت العبد ، فإنه يضع قدمه على عتبة « اللانهائية » ومن هنا يدخل عالم البرزخ .

وعالم البرزخ محيط أعنف من أن يمخر عبابه سباح ماهر ..

قال جل شأنه : **﴿ حَتَّى إذَا جَاءَ أَحَدَهُم الموتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعَون لَعَلِّى أَعْمَل صَالحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلاّ إنَّها كَلِمةٌ هُوَ قَائِلها وَمن ورائِهِم بَرْزَخٌ إلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾** والبرزخ هنا هو الحاجز الزمنى الذى يفصل ما بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة .

* * *

• • وما هو نداء القبر .. وماذا يقول بلسان حاله ؟

• إنه ينادى ويخاطب الإنسان بكلمات ينفطر لها القلب ، وينخلع من هولها الفؤاد ..

روى أبو هريرة - رضى الله عنه - قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ فى جنازة ، فجلس إلى قبر منها ، فقال « ما يأتى على هذا القبر يوم إلا وهو ينادى بصوت ذلق طلق : يا ابن آدم نسيتنى ألم تعلم أنى بيت الوحدة ، وبيت الغربة والوحشة ، وبيت الدود ، وبيت الضيق ، إلا من وسّعنى الله عليه » .

وقال رسول الله ﷺ « القبر إما روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النار » .

* * *

• • وما حكم زيارة القبور ؟

• زيارة القبور مستحبة للرجال ، لما رواه أحمد ومسلم وأصحاب السنن عن عبد الله بن بريدة عن أبيه أن النبى ﷺ قال : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها .. فإنها تذكركم الآخرة » .

وكان النهى ابتداءً ؛ لأنهم كانوا لا يتورعون فيه عن هجر الكلام وفحشه ، فلما دخلوا فى الإسلام ، واطمأنوا به ، وعرفوا أحكامه أذن لهم الشارع بزيارتها .

عن أبى هريرة – رضى الله عنه – أن النبى ﷺ زار قبر أمه فبكى وأبكى من حوله ، فقال النبى ﷺ : « استأذنت ربى أن أستغفر لها فلم يؤذن لى ، وآستأذنته أن أزور قبرها فأذن لى ، فزوروها .. فإنها تذكر الموت » .

* * *

• • وما الوصفة الشرعية لزيارة القبور ؟

• إذا وصل الزائر إلى القبر استقبل وجه الميت ، وسلّم عليه ودعا له .

وقد جاء فى ذلك عن بريدة قال : كان النبى ﷺ يعلمهم إذا خرجوا : « السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، أنتم فرطنا ، ونحن بكم تبع ، ونسأل الله لنا ولكم العافية » .

وعن ابن عباس أن النبى ﷺ مرّ بقبور المدينة ، فأقبل عليهم بوجهه ، فقال : « السلام عليكم يا أهل القبور .. يغفر الله لنا ولكم .. أنتم سلفنا ونحن بالأثر » .

وعن عائشة – رضى الله عنها – قالت : قلت : كيف أقول لهم يا رسول الله ؟ قال : « قولى : السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون » وأما ما يفعله بعض من لا علم لهم .. من التمسح بالأضرحة وتقبيلها والطواف حولها ، فهو من البدع المنكرة التى يجب اجتنابها ، ويحرم فعلها ، فإن ذلك خاص بالكعبة .. زادها شرفاً .

• • وماذ ينفع الميت من الأعمال ؟

• من المتفق عليه أن الميت ينتفع بما كان سبباً فيه من أعمال البر فى حياته ، لما رواه مسلم وأصحاب السنن عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » .

• • وماذا ينفعه من أعمال غيره ؟ وهل تنتفع أرواح الموتى بشىء من سعى الأحياء أم لا ؟

• إنما تنتفع من سعى الأحياء بأمرين مجمع عليهما بين أهل السنة من الفقهاء وأهل الحديث والتفسير .

أحدهما : ما نسب إليه الميت فى حياته .

والثانى : دعاء المسلمين له واستغفارهم له ، والصدقة ، والحج .

ويرى الإمام أحمد ومعه جمهور السلف وصول الصوم والصلاة وقراءة القرآن والذكر .

• • وماذا عن ثواب الصدقة إلى الميت ؟

• في الصحيحين عن عائشة - رضى الله عنها - أن رجلًا أتى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله ، إن أمى افتلتت نفسها ولم توص ، وأظنها لو تكلمت تصدقت ، أفلها أجر إن تصدقت عنها ؟ قال : نعم .

وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رجلًا قال للنبى ﷺ : إن أبى مات وترك مالًا ولم يوص ، فهل يكفى عنه أن أتصدق عنه ؟ قال : نعم .

• • وهل يصل ثواب الصوم ؟

• الدليل على وصول ثواب الصوم إلى الميت ما روى فى الصحيحين عن عائشة - رضى الله عنها - أن رسول الله ﷺ قال : « من مات وعليه صيام صام عنه وليه » .

وفى الصحيحين أيضاً عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : جاء رجل إلى النبى ﷺ ، فقال : يا رسول الله أمى ماتت وعليها صوم شهر .. أفأقضيه عنها ، قال : نعم .. فدين الله أحق أن يقضى .

• • وهل يصل ثواب الحج ؟

• وأما وصول ثواب الحج ، ففى صحيح البخارى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبى ﷺ فقالت : إن أمى نذرت أن تحج ، فلم تحج حتى ماتت ، أفأحج عنها ؟ قال : حجى عنها .. أرأيت لو كان على أمك دَيْن أكنت قاضيته ؟ اقضوا الله ، فالله أحق بالقضاء .

• • وهل تعاد الروح إلى الميت فى قبره وقت السؤال .. أم لا ؟

• يجيب العلامة ابن القيم عن هذا السؤال قائلًا : لقد كفانا رسول الله ﷺ أمر هذه المسألة ، وأغنانا عن أقوال الناس حيث صرح

بإعادة الروح إليه ، فقد قال البراء بن عازب : كنا فى جنازة فى بقيع الغرقد ، فأتانا النبى ﷺ ، فقعد وقعدنا حوله ، كأن على رؤوسنا الطير ، وهو يلحد له ، فقال : « أعوذ بالله من عذاب القبر » ثلاث مرات ، ثم قال : إن العبد المؤمن إذا كان فى إقبال من الآخرة ، وانقطاع من الدنيا ، نزلت إليه ملائكة كأن وجوههم الشمس ، فيجلسون عند رأسه ، فيقول : أيتها النفس الطيبة ، اخرجى إلى مغفرة من الله ورضوان ، قال : فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فى السقا - أى فمه - فيأخذها ، فإذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها فى ذلك الكفن ، وذلك الحنوط ، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض .. قال : فيصعدون بها ، فلا يمرون بها - يعنى على ملأ من الملائكة - إلا قالوا : ما هذا الروح الطيب ؟ فيقولون : فلان ابن فلان - بأحسن أسمائه التى كانوا يسمونه فى الدنيا - حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا ، فيستفتحون له ، فيفتح له ، فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التى تليها ، حتى ينتهى بها إلى السماء التى فيها الله تعالى ، فيقول الله - عز وجل - : اكتبوا كتاب عبدى فى عليين ، وأعيدوه إلى الأرض ، فإنى منها خلقتهم ، ومنها أعيدهم ، ومنها أخرجهم تارة أخرى .

قال : فتعاد روحه فى جسده ، فيأتيه ملكان ، فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : ربى الله ، فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول : دينى الإسلام ، فيقولان له : ما هذا الرجل الذى بعث فيكم؟ فيقول : هو رسول الله ﷺ ، فيقولان له : وما علمك بهذا ؟ فيقول : قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت ، فينادى منادٍ من السماء : أن صدق عبدى ، فأفرشوه من الجنة ، وافتحوا له باباً من الجنة . قال فيأتيه من ريحها وطيبها ، ويفسح له فى قبره مد بصره . قال : ويأتيه رجل حسن الوجه ، حسن الثياب ، طيب الريح ، فيقول : أبشر بالذى يسرُك ، هذا يومك

الذى كنت توعد .. فيقول له : من أنت .. فوجهك الوجه الذى يجىء بالخير .. فيقول : أنا عملك الصالح ، فيقول : رب أقم الساعة أرجع إلى أهلى .

[أما الكافر فيجد عكس ذلك كله] .

● ● **وما أسباب عذاب القبر ؟**

● ذلك راجع إلى سببين : مجمل ، ومفصل :

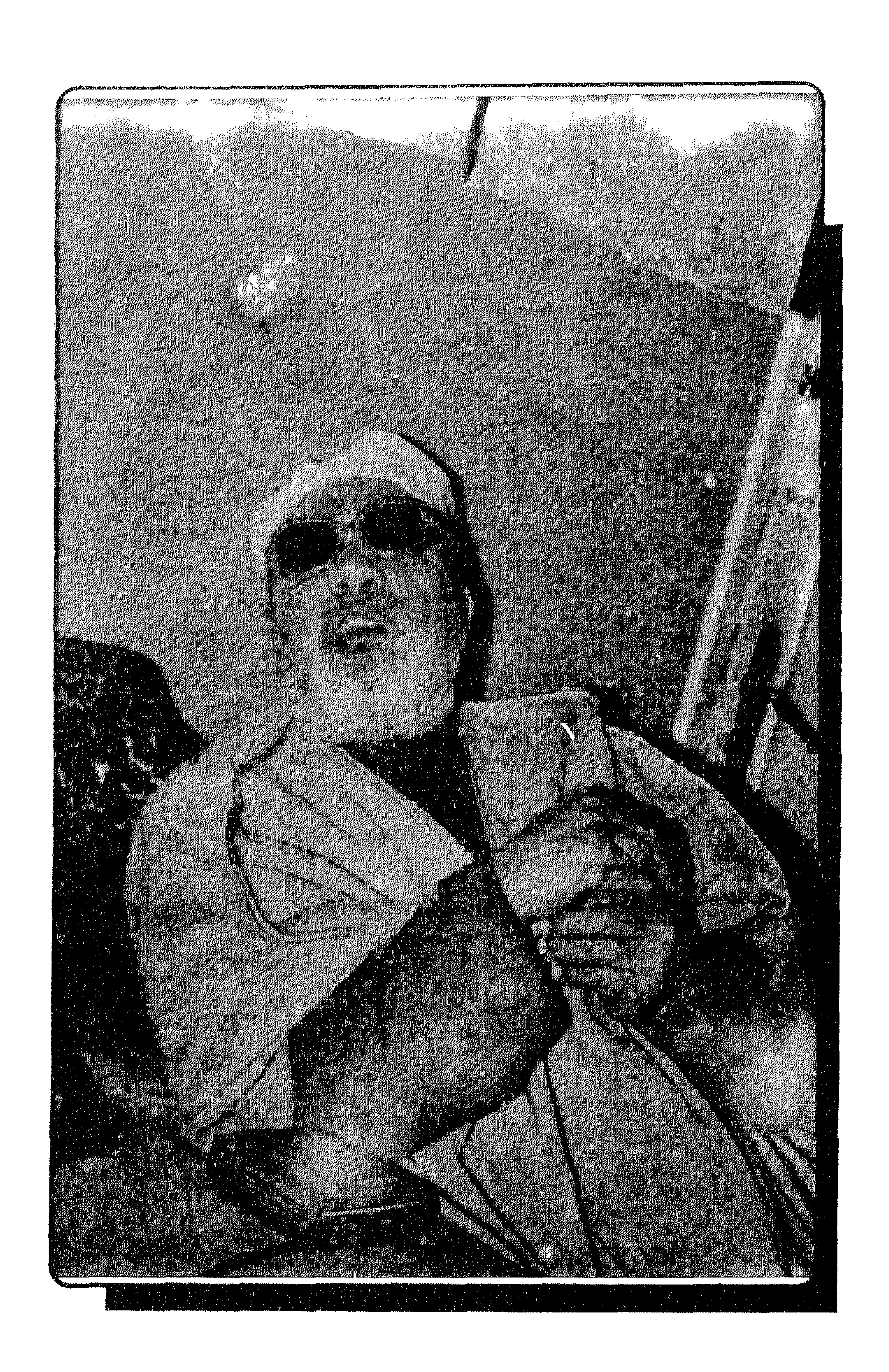
أما المجمل : أنهم يعذبون على جهلهم بالله وإضاعتهم لأمره ، وارتكابهم لمعاصيه .. فالله لا يعذب روحاً عرفته ، وأحبته ، وامتثلت أمره واجتنبت نهيه .

ومن أغضب الله وأسخطه فى هذه الدار ثم لم يتب ، ومات على ذلك ، كان له من عذاب البرزخ بقدر غضب الله وسخطه عليه ، فمستقل ومستكثر ومصدق ومكذب .

وأما المفصل : فقد أخبر النبى ﷺ عن الرجلين اللذين رآهما يعذبان فى قبريهما .. يمشى أحدهما بالنميمة بين الناس ، ويترك الآخر الاستبراء من البول .. فهذا ترك الطهارة الواجبة ، وذلك ارتكب السبب الموقع للعداوة بين الناس بلسانه ، وإن كان صادقاً .

ومما سبق يتضح أن عذاب القبر يكون عن معاصى القلب والعين والأذن والفم واللسان والبطن والفرج واليد والرجل والبدن كله ، فالنمام والكذاب والمغتاب وشاهد الزور ، وقاذف المحصنة وآكل الربا والغادر والمخادع والماكر .. كل هؤلاء وأمثالهم يعذبون فى قبورهم بهذه الجرائم بحسب كثرتها وقلتها ، وصغيرها وكبيرها .

ولما كان الناس كذلك ، كان أكثر أصحاب القبور معذبين ، والفائز منهم قليل !!



• • فضيلة الشيخ .. ما الحكمة فى كون عذاب القبر لم يذكر فى القرآن مع شدة الحاجة إلى معرفته ، والإيمان به ، ليحذر ويتقى ؟

• الجواب من وجهين مجمل ، ومفصل :

أما المجمل : فهو أن الله سبحانه وتعالى أنزل على رسوله وحيين ، وأوجب على عباده الإيمان بهما ، والعمل بما فيهما وهما : الكتاب والحكمة .

قال تعالى : ﴿**وأنْزل اللّه عَلَيْكَ الْكِتَاب والْـحِكمة وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكنْ تَعْلَم**﴾ .

وقال تعالى : ﴿**هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الأُمِّـيين رَسُولاً مِنهم يَتلُو عَلَيْهم آيَـاتِـهِ وَيُزَكيهم وَيُعَلِّمهُم الْـكِتَاب وَالْـحِكمَة**﴾ .

وقال الله تعالى : ﴿ **واذْكرن مَا يُتلى فِى بُـيُوتِكُنَّ مِن آيات اللَّه والْـحِكْمَة**﴾ .

والكتاب : هو القرآن ، والحكمة : هى السنة باتفاق السلف .

وما أخبر به الرسول ﷺ عن الله فهو فى وجوب تصديقه والإيمان به .. كما أخبر به الرب تعالى على لسان رسوله .

هذا أصل متفق عليه بين أهل الإسلام لا ينكره إلا من ليس منهم ، وقد قال النبى ﷺ : « إنى أوتيت الكتاب ومثله معه » .

وأما الجواب المفصل : فهو أن نعيم البرزخ وعذابه مذكوران فى القرآن فى غير موضع ، فمنها قوله تعالى : ﴿**وَلَوْ تَرى إذِ الظَّالِمونَ فِى غَمراتِ الْـمَوتِ وَالملاَئكةُ بِاسِطُو أيْدِيهِمْ أخْرِجُوا أنفُسكمْ الْيَوْمَ تُجزَون عَذاب الْـهُون بِـمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّه غَيْرَ الـحَقِّ وَكُنْتُمْ عَن آيَاتِـهِ تَستَكْبِرُونَ**﴾ وهذا خطاب لهم عند الموت .

وقد أخبرت الملائكة - وهم الصادقون - أنهم حينئذ يجزون عذاب الهون ، ولو تأخر عنهم ذلك إلى انقضاء الدين ، لما صح أن يقال لهم : اليوم تجزون .

ومنها قوله : ﴿فَوقَاهُ اللَّهُ سَيئاتِ مَا مَكرُوا وَحَاقَ بِآلِ فرعَونَ سُوءُ الْعَذَاب * النَّار يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غدوًّا وَعَشيًّا وَيَوْم تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخلوا آلَ فرعَونَ أَشَد الْعَذَاب﴾ .

فذكر عذاب الدارين ذكرًا صريحاً .. لا يحتمل الشك .

ومنها قوله تعالى : ﴿فَذَرهُم حَتَّى يُلاقُوا يَوْمَهُم الَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ * يَوْمَ لَا يُغنِى عَنهُم كَيدُهُمْ شَيئاً وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ * وإِن لِلَّذِينَ ظَلموا عَذابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكثَرَهُمْ لَا يَعلَمُونَ﴾ .

وهذا يحتمل أن يراد به عذابهم بالقتل وغيره فى الدنيا ، وأن يراد به عذابهم فى البرزخ وهو أظهر .. لأن كثيرًا منهم مات ولم يعذب فى الدنيا .

وقد يقال - وهو أظهر - إن من مات منهم عذب فى البرزخ ، ومن بقى منهم عذب فى الدنيا بالقتل وغيره ، فهو وعيد بعذابهم فى الدنيا وفى البرزخ .

ومنها قوله تعالى : ﴿وَلنذِيقنَّهمْ مِن الْعَذَاب الأَدْنَى دُونَ الْعَذَاب الأَكبَرِ لَعَلَّهمْ يَرجِعُونَ﴾ .

وقد احتج بهذه الآية جماعة منهم عبد الله بن عباس - رضى الله عنهما - على عذاب القبر ، وفى الاحتجاج بها شىء ؛ لأن هذا عذاب فى الدنيا يستدعى به رجوعهم عن الكفر ، ولم يكن هذا مما يخفى على حبر الأمة وترجمان القرآن ، لكن من فقهه فى القرآن ، ودقة فهمه فيها فهم منها عذاب القبر ، فإنه - سبحانه - أخبر أن له فيهم عذابين :

أدنى وأكبر ، فأخبر أنه يذيقهم بعض الأدنى ليرجعوا ، فدل على أنه بقى لهم من « الأدنى » بقية يعذبون بها عذاب الدنيا ، ولهذا قال : « من العذاب الأدنى » ولم يقل « ولنذيقنهم العذاب الأدنى » فلنتأمل ذلك جيداً .

• • فضيلة الشيخ .. يقال إن هناك معانى كثيرة وحكمة مستقاة من قصة وفاة الرسول ﷺ .. فما الحكمة والمعنى من قصة وفاة الرسول ﷺ ؟

• فوجئ المسلمون بهذا النبأ الأليم وهم بالمسجد ، فقد رأوه ﷺ فى الصباح وكل شيء يدل على أنه عوفى ، مما جعل أبا بكر يذهب إلى زوجه « بنت خارجة » « بالسنح » !

وأسرع عمر - رضى الله عنه - إلى حيث جثمان النبى ﷺ وهو لا يصدق أنه مات ، ذهب فكشف عن وجهه ﷺ ، فألفاه لا حراك به ، فحسبه فى غيبوبة لابد أن يفيق منها .

وعبثاً حاول المغيرة بن شعبة إقناعه بالحقيقة الأليمة ، فقد ظل مؤمناً بأن رسول الله ﷺ لم يمت .. فلما ألح « المغيرة » عليه قال له عمر : كذبت .

وخرج معه إلى المسجد وهو يصيح : إن رجالًا من المنافقين يزعمون أن رسول الله ﷺ توفى ، وإنه والله ما مات ، ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران ، فقد عاب عن قومه أربعين ليلة ، ثم رجع إليهم بعد أن قيل إنه مات ، والله ليرجعن رسول الله ﷺ كما رجع موسى - عليه السلام - ، فليقطعن أيدى رجال وأرجلهم زعموا أنه قد مات .

واستمع المسلمون بالمسجد إلى هذه الصيحات من جانب عمر - رضى الله عنه - يرسل الواحدة تلو الأخرى ، وهم فى حال أشبه شيء بالذهول .

وقد أحاطت جموعهم بعمر - رضى الله عنه - ، وهم أدنى إلى تصديقه وإلى الإيمان بأن رسول الله ﷺ لم يمت ، وإنهم كذلك : إذ أقبل أبو بكر آتياً من « السنح » وقد بلغه الخبر الفادح ، وبصر بالمسلمين وبعمر يخطبهم ، فلم يقف طويلًا ، ولم يلتفت إلى شىء ، بل قصد بيت عائشة - رضى الله عنها - ، فاستأذن ، فدخل ، فألفى النبى ﷺ مسجىً فى ناحية من البيت ، عليه برد حبرة ، فأقبل حتى كشف عن وجهه ، ثم أقبل عليه يقبله ، وقال : ما أطيبك حيًا .. وما أطيبك ميتاً !!

ثم إنه أخذ رأس النبى ﷺ بين يديه ، وقال : « بأبى أنت وأمى ، أما الموتة التى كتب الله عليك فقد ذقتها ، ثم لن تصيبك بعدها موتة أبداً ، ثم أعاد الرأس الشريفة إلى الوسادة ، ورد البرد على وجهه ، وخرج وعمر لا يزال يكلم الناس ، ويقنعهم بأن رسول الله ﷺ لم يمت وفسح الناس لأبى بكر - رضى الله عنه - طريقاً .

فلما دنا من عمر - رضى الله عنه - ناداه : على رسلك يا عمر ، أنصت . لكن عمر أبى أن يسكت أو ينصت ، واستمر يتكلم ، فأقبل أبو بكر - رضى الله عنه - على الناس ، وأشار إليهم بأنه يكلمهم .. ومن كأبى بكر فى هذا المقام ؟

أليس هو الصدّيق ، صفى النبى ﷺ ، ومن لو اتخذ النبى ﷺ خليلًا لاتخذه خليلًا ؟

لذلك أسرع الناس إلى تلبية دعوته ، وانصرفوا إليه عن عمر ، فحمد الله وأثنى عليه وقال : « أيها الناس : من كان يعبد محمداً ، فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله ، فإن الله حى لا يموت ، ثم تلا قوله تعالى : ﴿ **وَمَا مُحَمَّد إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسل أَفَإِن مَاتَ أَوْ قُتِلَ انقلبتُم عَلَى أَعْقَابكُمْ وَمَن يَنْقلِبْ عَلَى عَقبيهِ فَلَن يَضر**

اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِى اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ .

وكان عمر قد نصت حين رأى انصراف الناس إلى أبى بكر - رضى الله عنه - ، فلما سمع أبا بكر يتلو هذه الآية خر إلى الأرض .. موقناً أن رسول الله قد مات .

وأما الناس فقد أخذوا من قبل بأقوال عمر - رضى الله عنه - ، حتى لقد أَلْفَوْا أنفسهم حين سمعوا هذه الآية يتلوها أبو بكر - رضى الله عنه - ، كأنهم لم يكونوا يعلمون أنها نزلت .

إذن .. أفكان عمر مغالياً حين اقتنع بأن محمدًا لم يمت ، وحين دعا الناس إلى مثل اقتناعه ؟

كلا .. فإن المصاب الفادح والخطب الجسيم قد استولى على جنبات نفسه ، وملك عليه فؤاده ..

إنه الرجل الذى عاش فى كنف محمد ﷺ وظله ..

إنه عمر الذى كان لا يطيق مرور نسمة تؤذى رسول الله ﷺ إلا ويصيح بصوته القوى : يا رسول الله ، مرنى بقتل هذا المنافق .

فما بالك حين ينظر حواليه ، فلا يرى الرسول بجانبه ، وينظر فوقه فيرى النجوم ، قد خر من بينها البدر .

إذن .. فلا لوم ، لأن عمر قد غشيته غاشية من هول المصاب .

وهكذا ، لحق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى ، وقد صدق رب العزة حيث يقول له : ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشر مِن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أفإن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُون * كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالْشَّرِّ والْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ وصدق الله - تعالى - إذ يقول : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وإِنَّهُمْ مَّيِّتُونَ﴾ .

• • فضيلة الشيخ .. هناك سؤال طالما جال بخاطر الكثيرين ألا وهو: ما الحكمة التى خرجت بها من هذه الحياة ؟ سواء تجربة السجن أو المحنة .. ما الحكمة بعد كل هذه التجربة الثرية العريضة ؟

• لخصتها فى ست حكم :

الأولى : ذقت الطيبات كلها ، فلم أجد أطيب من العافية ..

الثانية : وذقت المرارات كلها فلم أجد أمر من الحاجة إلى الناس ..

الثالثة : وحملت الصخر والحديد فلم أجد أثقل من الدَّيْن ..

الرابعة : ولو سئلت عمن هو أثقل من السموات والأرض لقلت تهمة البرىء .

الخامسة : الشجاعة ليست هى التهور ، إنما أن تقول الحق دون أن تسمح للآخرين بأن يتسلقوا على كتفيك ..

السادسة والأخيرة : إياك أن تغتر بالعواطف ، فإن العواطف تخفى وراءها ما وراءها !!

هذه هى الحكمة التى أخذتها من الحياة .

* * *

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة

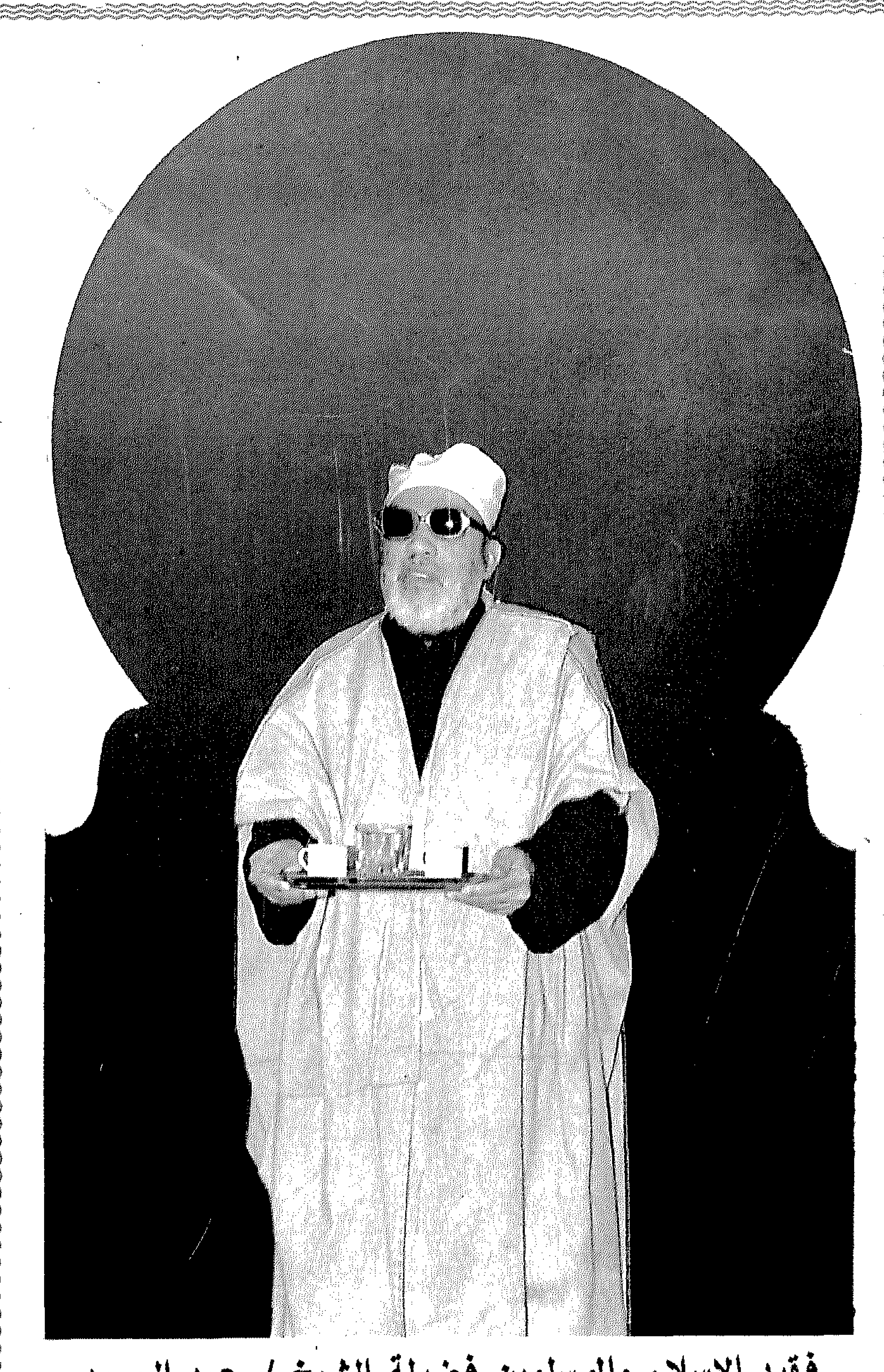
الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٤٧١١ / ١٩٩٧

دار النصر للطباعة الإسلامية
٢ - شارع نشاطي شبرا القاهرة
الرقم البريدى ـــ ١١٢٣١



فقيد الإسلام والمسلمين فضيلة الشيخ / عبد الحميد كشك وقد أصرَّ أن يقدم القهوة بنفسه تواضعاً وتكريماً للأستاذ / محمود فوزى وذلك قبل بداية الحوار الساخن .

.61

فو